الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة

إعداد

د. طه عابدين حمد

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة
كلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى

الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة

ملخص البحث:

هدف هذا البحث هو بيان الوحدة الموضوعية لسورة الفاتحة ، ولتحقيق ذلك الهدف قسم الباحث هذا البحث إلى مقدمة ، وخمسة مباحث ، وخاتمة ، جاء الحديث في المبحث الأول عن : أسماء السورة وفضلها وزمان نزولها وعدد آياتها، وفي المبحث الثاني عن: المعنى العام للسورة ، وفي المبحث الثالث عن : المناسبات بين كلمات وآيات السورة ، وفي المبحث الرابع عن: الوحدة الموضوعية للسورة ، وفي المبحث الخامس عن: تأملات في السورة وفق وحدتها الموضوعية ، ثم ختمت الدراسة ببيان أهم النتائج التي خلص إليها الباحث، والتي من أبرزها: أهمية دراسة الوحدة الموضوعية للسورة لأبرز الخصائص الإعجازية في القرآن والوقف على بعض أسراره ، وأنه لم يرد من الأسماء والصفات والفضائل بمثل ما ذكر للفاتحة مما يدل على فضلها وشرفها ، وأنه يترتب على تعلمها من الفضل ما لا يوجد في طوال الآيات والسور، وهي متضمنة لمجمل ما جاء تفصيله في القرآن الكريم ، وهنالك تناسق وتناسب وتعانق عجيب بين كلمات وآيات سورة الفاتحة ، وموضوع السورة الرئيس هو : تحقيق العبودية الخالصة لله ﷻ ، وقد تضمنت السورة ثلاثة محاور خادمة للموضوع الرئيس وهي: التعريف بالمعبود الحق ﷻ ، والتعريف بكيفية عبادة الله ، وبيان معرفة مآل من عبده ومن أعرض أو انحرف عن عبادته ، وقد جاءت محاور سورة الفاتحة متعانقة مع محورها الرئيس في صورة تمثل وحدة متكاملة لا تقبل الانفصال ، بل متعانقة مع جميع سور القرآن الكريم .

ومن خلال النتائج السابقة أوصى الباحث بعدد من التوصيات من أهمها : أن تحظى سورة الفاتحة بمزيد عناية في التعلم والتعليم حتى ترسخ معانيها في قلوب الأمة ويكشف المزيد من مكنونها ، وعقد ندوة عالمية للتأصيل في موضوع الوحدة الموضوعية بصورة تضبط مسارات البحث في هذا العلم ، لأن الباحث عانى من ضعف المعالم التي تقوم عليها الدراسة ، وغيرها من توصيات .

Abstract:

The main objective of this research is the clarification of the thematic unity of surat "Al-fatihah". To achieve this goal, the researcher divides the whole study into an introduction, other five chapters and a conclusion. In the first section, the researcher writes about the names of surat "Al-fatihah", its virtues, time of descending, and the total number of its verses. In the second section, the researcher explains the general meaning of the whole surat. In the third section, the researcher clarifies the relationship between the individual words of surat "Al-fatihah" and its verses. In the fourth section, the researcher clarifies the thematic unity of surat Al-Fatihah. In the fifth section, there are speculations on the thematic unity of the surat "Al-fatihah". Finally, the researcher states the most significant findings of the study. Among these findings is the importance of studying the thematic unity of the surat Al-Fatihah in order to show the miraculous characteristics of this surat specifically and consequently the holy Quaran. Another important finding is the discovery of some valuable secrets of this central surat .Moreover, the researcher finds out that there is ,in fact, no one surat that has so many names ,qualities and attributes as that of surat Al-fatihah. However, such virtues reflect the uniqueness of this surat. Consequently, learning this surat has got more advantages than learning other longer ones. Furthermore, this suarat is the best summary of the main issues of the whole holy Quaran. In addition, there is surprising suitability and matching between the individual words and verses of this surat and its main theme which is actualizing pure faithfulness and true slavery to the oneness of almighty Allah. In fact, the entire plot in this surat comes in complete harmony and unique unity that will never accept any separation. Therefore, there is internal solidarity and coherence within the surat as well as between this surat and the whole suras of the whole holy Quran.

From the above mentioned results, the researcher recommended many recommendations, among them is that this great surat should get more care and especial emphasis in education, its great meaning must be well implemented in the heart of the whole Islamic nation and that an international conference should be held for the foundation of the thematic unity basis in scientific way starting from this surat which has demonstrated this unity clearly. In fact, the researcher himself has suffered a lot from scarcity of sources that deal with thematic unity in other subjects.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله الذي خصنا بكتابه المجيد الذي تعجز العقول أن تحيط بعلمه ، والألسن أن تبلغ الكمال في ثناء وصفه ، كتاب قيم ولم يجعل له عوجا ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، والصلاة والسلام على النبي الأمين الذي أوتي سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الصادقين ، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين .

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١/حاجة الناس اليوم الكبيرة إلى من يوصل القرآن إلى قلوبهم، ويبصرهم بعظيم أسراره ، وروعة إعجازه ، فالقرآن نزل على قلب النبي ﷺ ليعيه كما قال تعـــالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(البقرة : ٩٧) ؛ ولذا يكون أثره عظيماً في النفوس لما تعيه أسماعهم ، ويبلغ قلوبهم ، وتدرك عقولهم عظمة شأنه ، قال تعالى:﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(ق:٣٧)، ولن يصل إلى القلوب إلا بعد فهمه وتدبر معانيه ، والغوص في أسراره والوقوف مع حكمه وأحكامه ، وذلك لأن الله ﷻ ربط الانتفاع بالقرآن من خلال تدبر آياته ، قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(ص:٢٩)، ودراسة نظم القرآن ووحدته الموضوعية من أعظم الأسباب المعينة على دقيق الفهم وعمق التدبر " فكلُّ من غفل عن نظام الآيات أو تناولها تناولاً قاصراً عابراً لا يمكنه أن يستمتع بجمال القرآن ، ولا يمكنه أن يدرك ميزته التي تخصه من بين سائر أنواع الكلام " [1].

٢/ دراسة الوحدة الموضوعية يعتبر نوعاً مهماً من أنواع التفسير الموضوعي الذي يقوم أساسه على الوحدة الموضوعية ، سواء كانت هذه الوحدة للموضوعات التي تناولها القرآن ، أو وحدة الموضوع الذي تعالجه السورة الواحدة [٢]، انطلاقاً من قوله تعالى:﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾،فهو لون له أصالته وعمقه كما له جدته وطرافته وحسنه، وإن كان لم يخض بحره في صورته الشاملة إلا القليل من العلماء ؛ وذلك لأنه ليس من الموضوعات التي هي سهلة المنال بل تحتاج إلى إطلاع واسع، وبصيرة نافذة ، وبديهة حاضرة ، وقبل ذلك وفوقه توفيق وإعانة من الله العليم الحكيم ، وهو عمل شاق وممتع ، شاق في تحقيق المطلوب ؛ وذلك لأن المفسر لا يصل إلى مطلوبه إلا بعد أن يمارس أنواعاً من التفسير،ويهضم معاني السورة ، ويستوعب موضوعاتها بعد إطالة النظر في آيات وموضوعات السورة الواحدة - وإن كان المفسر لا يخوض في أثناء دراسة الوحدة الموضوعية في تفاصيل الأحكام ، ولا دقائق اللغة ، ولا تفاصيل أسباب النزول وغيرها - وذلك لأنه يقصد السورة في كلياتها ونظامها، لا من حيث الدلالة التفصيلية لآياتها، وممتع حيث يوقفك على دقائق المعاني وأسرار الترابط بين الآيات والكلمات والموضوعات ما لم يكن يخطر ببال من أول نظرة في التفسير بصورة تعجز العقول عن الإحاطة به ، وذلك لأن المفسر يهتم في دراسة الوحدة الموضوعية بدراسة السورة كاملة في إطارها العام ثم يبحث عن موضوعها الرئيس ، وكيف جاءت آيات السورة وموضوعاتها خادمة لهذا الموضوع بصورة متناسبة متعانقة يتجلى فيها وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي يظهر من خلال تآلف موضوعات السورة وتناسبها وأنه جاء بهذا الترتيب من رب العالمين ، كما يقول الفخر الرازي (ت : ٦٠٦هـ) :" إن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا أنَّه معجز بسبب نظم أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منبهين لهذه الأسرار"[٣] ، وقال الأصبهاني (ت: ٣٥٦ه) :" فإن القرآن معجز والركن الأبين الإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب"[٤].

٣/ إبراز الوحدة الموضوعية للسورة يعتبر إضافة حقيقية في التفسير على ما كتبه الأوائل ، وإذا كان التفسير أخذ مراحل متنوعة في التطور من بيان الغريب إلى بيان المعاني وأوجه الإعراب إلى بيان التناسب والصلة بين الآيات والسور فإنَّ ما انتهى إليه نظر العلماء في بيان الوحدة الموضوعية لسور القرآن وبيان الموضوع الرئيس الذي تدور حوله آيات وموضوعات السورة مع السعي لبيان الوحدة الموضوعية الجامعة لكلِّ سور القرآن الذي يجمع آياته وسوره في وحدة موضوعية واحدة لهو أمر طبيعي في النظر والتأمل الطويل عبر السنين في كتاب الله ؛ وذلك لأنَّ كثيراً ممن فسروا القرآن وقفوا على شرح الألفاظ وبيان معاني الآيات ، ومن تقدم منهم لم يتجاوز الربط بين الآيات والموضوعات في السورة الواحدة أو الربط بين آيات الموضوع الواحد ، ومن تكلموا عن مقاصد السور لم يتجاوز حديثهم بيان هدف السورة وموضوعها العام أو الرئيس في حين أن دراسة السورة في وحدتها الموضوعية يجعل المفسر يهتم بمعرفة المعاني وموضوع السورة الرئيس ، وموضوعاتها الفرعية مع ربط أجزاء السورة بموضوعها الرئيس وهدفها العام في صورة متألقة متناسقة تظهر عظمة هذا الكتاب المجيد ، فهو نوع مهم من أنواع التفسير يتناسب مع عصرنا الحاضر القائم على دقة النظر والاستكشاف ، كما هو يلبي مطلباً مهماً للباحثين عن مكنون هذا الكتاب المجيد ومعرفة المزيد من أوجه إعجازه ، ويفتح المجال واسعاً للباحثين للتدبر العميق في سور وآيات هذا الكتاب المجيد ، وفي هذا يقول الدكتور محمد عبد الله دراز (ت : ١٩٥٨م) موضحاً أن هذا النوع من التفسير هو معجزة من أهم المعجزات: " لعمري لئن كان للقران في بلاغة تعبيره معجزات ، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات "(٥) ، ولذا قصد الباحث خدمة هذا النوع من التفسير وإظهار بعض عجائب هذا الكتاب العظيم ودرره المكنوزة من خلال تأمله لأعظم سورة في القرآن الكريم .

٤/ عظمة هذه السورة وفضلها وكثرة تكرارها على لسان كل مؤمن ، التي هي فاتحة كتابه ، وأعظم سورة فيه ، بل لم ينزل مثلها لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان ، كما سوف يأتي الحديث عن فضلها ، لما تضمنته من أصول الكتاب ومقاصده ، يقول ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) :" اعلم أن هذه السورة - سورة الفاتحة - اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن"[٦]، ويقول الشيخ محمد علي الصابوني عن سورة الفاتحة :" وهي - على قصرها ووجازتها - قد حوت معاني القرآن العظيم ، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال ، فهي تتناول أصول الدين وفروعه ، وتتناول العقيدة والعبادة والتشريع ... إلى غير ما هنالك من مقاصد وأغراض وأهداف ، فهي كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة ولهذا تسمى"بأم الكتاب" لأنها جمعت مقاصده الأساسية "[٧].

والآيات والسور في كتاب الله تتفاضل لا باعتبار المتكلم بها لأن المتكلم بها جميعاً هو الله الواحد الأحد وإنما باعتبار المعاني والدلالات التي تدل عليها ، فقصدت أن أعيش مع هذه السورة العظيمة أياماً وشهوراً قراءة وتدبراً لأقف على بعض حكمها وأسرارها التي تذخر بها ، وتنكشف أنوارها من خلال جمال الترابط بين الكلمات والآيات والموضوعات، فهي باب ومفتاح لما تلاها من الآيات والسور .

٥/هدف الباحث أن يؤسس منهجاً للدراسة يصلح تطبيقه فيما عداها من السور؛ يجمع بين الكشف عن معاني عميقة وهدايات فريدة،وإظهار تناسق النظم،وروعة الإعجاز القرآني من خلال تلاحم الآيات والموضوعات، بما يحقق اليقين من خلال مشاهدة قوة البرهان والبيان وحسن النظم وتعانق الكلام .

٦/ أن فهم هذه السورة يوصلنا لتحقيق مرتبة الخشوع والإحسان في صلاتنا التي هي من أعظم أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة ؛ لأن فهم المعنى يؤدي إلى جماع القلب وحضوره عند تلاوتها، خاصة أن هذا التكرار لها

في اليوم سبع عشرة مرة أو أزيد قد يفقدنا التدبر لمعانيها ، وحضور قلوبنا عند تلاوتها ، وأن العبد ليس له من صلاته إلا ما عقل .

ثانياً : الدراسات السابقة :

الحديث عن التناسب بين لفظة وأخرى وآية وآية ، وسورة وسورة بوجه يقرب إلى الوحدة الموضوعية قديم ترجع جذوره إلى ما كتبه القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:٣٧٢هـ) عن بديع نظمه وعجيب تأليفه في آياته وسوره في كتابه "إعجاز القرآن" ، كما اعتنى بمناسبات الآيات في السورة الواحدة من المفسرين الفخر الرازي في كتابه(مفاتيح الغيب)، والإمام أبو السعود (ت:٩٨٢ه) في كتابه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم)، والألوسي (ت:١٢٧٠هـ) في كتابه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، وابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) في كتابه "التحرير والتنوير" ، والسيد محمد رشيد رضا (ت:١٩٣٥م) في تفسيره المنار ، ومنهم من خصه بالدراسة والنظر والتأمل في كتب مستقلة ، واعتبروا القرآن وحدة مترابطة ، وأن هذه الوحدة تسري بين سوره وآياته كالإمام الحافظ ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨ه) في كتابه "البرهان في تناسب سور القرآن"، والإمام برهان الدين البقاعي (ت:٨٨٥ه) في كتابيه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" ، و" مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"،والسيوطي (ت : ٩١١هـ) في "تناسق الدرر في تناسب السور" ، والشيخ عبد الحميد الفراهي (١٣٤٩هـ) في كتابيه " نظام القرآن" و"دلائل النظام" ويرى أن لكل سورة صورة مشخصة، وأن للسورة عموداً يجري إليه الكلام الذي حاول وضع لبنات لنظرية نظم القرآن ، وفرق بين المناسبة والنظام فيقول : " إن التناسب إنما هو جزء من النظام فإنَّ التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلا بنفسه ... والنظام أن تكون السورة كلاماً واحداً "وبين أن النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء ، وكتب أبو الفضل عبد الله الغُماري (ت :١٤١٣ه) "جواهر البيان في تناسب سور القرآن" ، وأولى ابن تيمية (ت:٧٢٨) وتلميذه ابن القيم اهتماماً بموضوع السور من خلال كتاباتهم

المتنوعة ، فيما تحدث الشاطبي (ت:٧٩٠هـ) عن مقاصد سور القرآن ، ثم تعمقت الكتابات وظهر الكلام بصورة مباشرة عن الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم في العصر الحديث من خلال عدد من الكتابات فمن هؤلاء : سيد قطب (ت: ١٩٦٦م) في ظلال القرآن الذي حاول أن يعرف بأهداف كل سورة ويحدد محاورها قبل أن يخوض في تفسيرها ، وجاء الشيخ سعيد حوى (ت:١٤٠٩هـ) في كتابه الأساس في التفسير وتكلم بصورة مباشرة عن موضوع كل سورة ومحاورها بل جعل ذلك هدفه من تفسيره ، وكتب الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز عن وحدة عضوية للسورة ونظام معنوي وبنية متماسكة له في كتابه النبأ العظيم مع ذكر بعض الأمثلة ، ثم جاء الشيخ الدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني فحاول أن يطبق خلاصة ما ذكره وما توصل إليه من خلال رسالته العلمية في درجة الماجستير والتي هي بعنوان " إمعان النظر في نظام الآيات والسور " في دراسة تطبيقية عميقة من خلال رسالة الدكتوراه التي هي بعنوان : "البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران " ، فقد جاءت الدراسة حول سورة الفاتحة في الباب الأول تحت عنوان " نظام السورة " وكتاب الدكتور محمد بن محمود خوجة رسالته العلمية في الدكتوراه عن الوحدة القرآنية دراسة تحليلية وهي من الرسائل القيمة في الدراسات النظرية حول الوحدة الموضوعية ثم كتبت بعض الرسائل العلمية في بعض الجامعات عن الوحدة الموضوعية لبعض السور كدراسات تطبيقية ، ولكن رغم تلك الجهود مازال هذا الموضوع في بداية الطريق، وتحتاج كثير من السور أن تفرد بدراسة خاصة وفق منهج منضبط محرر.

والكتابات في سورة الفاتحة أعظم من أن يحويها كتاب ، ولم يغفل عن تناولها مفسر من السابقين أو اللاحقين ، سواء أكانت تلك الكتابات جاءت ضمن مصنفات كتب التفسير أو كتب ورسائل خصصت لسورة الفاتحة ، وقد وقفتُ على ما يزيد عن مائة وخمسين كتاباً بين مخطوط ومطبوع ورد ذكر أغلبها ضمن فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم المعد من " مركز الدراسات القرآنية لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية" ، وهذا وإن كان قد خدم هذا البحث وقوى ثماره ونتائجه لكنه جعل الوصول إلى تلك النتائج والثمار

صعب المنال ؛ وذلك لغزارة المادة العلمية وتشعب بعض مسائلها مما جعلني أطالع تلك الكتابات في بضعة أشهر ، ولكن رغم تلك الكتابات الكثيرة لم أجد ـ حسب علمي وإطلاعي ـ من أفرد هذا الموضوع بالدراسة تحت عنوان "الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة" سوى :

أ/ رسالة الدكتوراه لمحمد عناية الله أسد سبحاني في كتابه " البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران " في القرآن وعلومه من جامعة الإمام بالرياض ، والدراسة مع ما بذل فيها من جهد مقدر فهي قاصرة من جوانب،ومتباينة من جوانب أخرى عن موضوع دراستنا هذه ، فهي لم تخصص لهذا الغرض ، وقد جاءت الدراسة في ستة فصول بدون مباحث ، الفصل الأول بعنوان :" على هامش السورة " تحدث عن فضلها ولم يذكر سوى حديثين ، ولم يتعرض لأسمائها ، ولا زمان نزولها ولا عدد آياتها وكل ذلك له ارتباط وثيق بموضوع الوحدة القرآنية ، ثم أطال الحديث في الربط بين معاني الفاتحة وأفعال الصلاة وإظهار وجه التناسب بينهما وهذه لا علاقة لها بالموضوع ، والفصل الثاني بعنوان:عمود السورة: الذي حدده بالعهد والميثاق في المستقبل الذي يؤكده المسلم لربه على العبادة الخالصة المطلقة والإنابة الصادقة المطلقة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ "[٨] ، بصورة يرى الباحث أن الموضوع لم يحرر بدقة كما سوف يظهر ذلك من خلال البحث إنَّ شاء الله ، ولم يدعم قوله بشواهد للعلماء تسنده ، ولم يبرهن له ببراهين ساطعة ، والفصل الثالث جاء بعنوان:"الربط بين الآيات" فلم يرجع لمرجع واحد في التفسير،وإنما سجل اجتهاداته ؛ ولذا جاء الفصل ضعيفاً غير شافٍ ، والفصل الرابع جاء بعنوان:"ارتباط السورة بالتي بعدها"، وهذا لا علاقة له بالموضوع المخصص لدراسة الوحدة الموضوعية في السورة ،ومثله الفصل الخامس الذي جاء بعنوان:"موقع السورة من جملة القرآن"، والفصل السادس الذي جاء بعنوان :" المناسبة بين فاتحة الكتاب وخواتيمه من السور وهذا كذلك لا علاقة له بموضوع البحث ، وقد تفرد بحثنا بما يلي : بتحديد دقيق لأسماء السورة وذكر شامل لما ورد في فضلها ، مع بيان المعنى

العام للسورة بما يخدم موضوع البحث ، وبسرد دقيق للتناسب بين آيات السورة وكلماتها وفق ما ذكره العلماء ، وبتحديد شافٍ لموضوعها الرئيس وموضوعاتها الفرعية مع بيان وجه الترابط بينها ، إضافة إلى تأملات دقيقة وفق وحدتها الموضوعية، مع الإعراض عن كل ما ليس له علاقة بموضوع البحث .

ب/كتاب:" التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم " إعداد لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ، جامعة الشارقة ، وقد جاء كلامهم عن سورة الفاتحة مختصراً في أحد عشر ورقة من صفحة (٧-١٨) ، حيث تكلموا في البداية بين يدي السورة عن أسمائها فلم يستوعبوا ما ورد فيه الدليل مثل:"القرآن العظيم" ، "والحمد " ولم يذكروا سبب التسمية الذي له تعلق بالدراسة ، ثم تكلموا عن فضائل سورة الفاتحة واكتفوا بذكر القليل منها وهي" أنها أعظم سورة ولا مثيل لها في الكتب المنزلة ، وأنها نور ورقية".ثم تكلموا عن موضوعات السورة وهي محاورها الأساسية بغير ما قررناه تماماً ، ثم تكلموا عن محور السورة حيث حددوه " ببيان طريق العبودية لله وحده ، ولم يثبتوا على محور واحد بل قالوا : " كما يمكن أن يقال إن للفاتحة محاور ، هي المحاور التي يدور عليها القرآن الكريم بسوره المكية والمدنية"ولم يدعموا قولهم بشواهد للعلماء أو تعليلات علمية واضحة ، وما حددوه على أنه يمكن أن يكون محور السورة جُعل في هذا البحث من ضمن محاورها ، ثم ذكروا تفسيراً مجملاً للسورة جاء في صفحة واحدة غابت فيه الكثير من المعاني، ثم ختموا بكلام عام حول الهدايات والحكم والآداب ليس له أي ربط بموضوع الوحدة الموضوعية .

فبعد وقوفي على هذه الدراسات السابقة رأيتُ ضرورة دراسة الموضوع بصورة أسأل الله أن يكتب لي التوفيق وأن تكون محققة لما هو مطلوب ، وقد صبرت نفسي كثيراً وأنا أعلاج هذا الموضوع للوصول للغاية المطلوبة ، وعانيت من دقة الموضوع وشدته ما الله به عليم ، والحمد لله على توفيقه .

ثالثاً : منهج البحث وأداته :

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، وسلك فيه أسلوبي الاستقراء والاستنباط،وكانت أداته تحليل المحتوى للأدلة ذات الصلة بالموضوع،التي تم جمعها من خلال ما كتبه العلماء في هذا الموضوع من الكتابات القديمة والحديثة بغية الوصول إلى أهداف البحث .

رابعاً :منهج الباحث: للوصول إلى الوحدة الموضوعية قام الباحث بما يلي:

١. دراسة للسورة من حيث اسمها وفضلها وعدد آياتها وزمان نزولها لتعلقه بالدراسة.

٢. بيان المعنى العام للسورة وفق ضوابط التفسير دون الدخول في خلافات وتفصيلات، وذلك لأن الوصول للوحدة الموضوعية يتطلب ذلك ، كما يقول الإمام الشاطبي :" اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر ؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها ، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها "(٩) فالسورة "مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله ، وأوله بآخره ، ويترامى بجملته إلى غرض واحد ، كما تتعلق الجمل ببعض في القضية الواحدة.وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها ، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية "(١٠) .

٣. بيان وجه التناسب بين آيات وكلمات سورة الفاتحة وفق ما ذكره العلماء ، وذلك لما في معرفة وجه التناسب بين الآيات من أهمية في معرفة الوحدة الموضوعية للسورة كما يقول البقاعي: " فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال. وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها "(١١) .

٤. بيان موضوعها الرئيس وموضوعاتها الفرعية وعلاقتها بالموضوع الرئيس. يقول البقاعي: " إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها ،

ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها...فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليه فيها؛ فترتب المقدمات الدالة عليه على أكمل وجه وأبدع منهج"(١٢) .

٥. تأملات عامة حول السورة وفق وحدتها الموضوعية وهذه خلاصات مهمة خرجت بها من الدراسة . وهذه الخطوات في الدراسة تتداخل فيما بينها لخدمة عنوان الدراسة وهو "الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة".

٦. لم أترجم للأعلام في هذا البحث ، واكتفيت بذكر تاريخ الوفاة كما هو نهج بعض الباحثين ، وبعض المجلات العلمية المحكمة ، كمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، وهو المناسب لمثل هذه البحوث التي يحبذ فيها الاختصار ، وما عداه التزمت بمنهج البحث بصورة دقيقة .

خامساً : هيكل البحث:

تضم هذه الدراسة مقدمة ، وخمسة مباحث وخاتمة جاءت على النحو التالي :

المقدمة : شملت الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره،إضافة للدراسات السابقة ومنهج الباحث .

المبحث الأول: أسماء سورة الفاتحة وفضلها وزمان نزولها وعدد آياتها .

المبحث الثاني : المعنى العام لسورة الفاتحة .

المبحث الثالث: المناسبات بين كلمات وآيات سورة الفاتحة.

المبحث الرابع : الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة .

المبحث الخامس : تأملات في سورة الفاتحة وفق وحدتها الموضوعية .

الخاتمة : شملت أهم النتائج والتوصيات .

وفي ختام المقدمة أقول : فإنّي أقدم بين يدي القاري جهد المقِل مع اعتراف في بداية هذا البحث ونهايته بالقصور والخلل ممن صفته الضعف والملل، ولا أدّعي الاستيعاب والإحاطة في موضوع دون عقول العالمين الإحاطة به ، ولكن حسبي أنني بذلت غاية ما استطيع في إصابة الحقّ وإظهاره، فإن أصبت فهذا من فضل الله وتوفيقه وحده سبحانه، وإن كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله سبحانه، مما زلّ به اللسان والبنان ، أو داخله ذهول ونسيان ، فإن كلَّ مصنف مع التؤدة وإمعان النظر، وطول الفكر قل أن ينفك عن شيء من ذلك ، فكيف بكاتب هذه الصفحات مع قلة علمه ، وضيق وقته ، وكثرة مشاغله ، وترادف همومه لكن مما يثبت قدمي ويقوي عزمي أني استمد العون من القوي المتين ، وأمدّ كفّ الضراعة إلى من يجيب المضطرين أن يسدد هذا العمل ويكتب له التوفيق والقبول ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وجميع المسلمين ، هذا والله الموفق والهادي عبده الضعيف إلى سواء السبيل ، عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول

أسماء سورة الفاتحة وفضلها وزمان نزولها وعدد آياتها

المطلب الأول : أسماء سورة الفاتحة

سورة الفاتحة ذكر العلماء لها أسماء كثيرة بل لم يُذكر لسورة في القرآن من الأسماء مثل ما ذكر للفاتحة ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وفضله، وقد ذكر القرطبي (ت:٦٧١هـ) للفاتحة اثني عشر اسماً ، وأوصلها السيوطي في الإتقان إلى خمس وعشرين بين أسماء وصفات نقل كل ما اشتهر بين علماء السلف، ولكن بعض تلك الأسماء والألقاب اجتهادية ثبتت عن بعض السلف لا يسع المجال لذكرها [١٣] ، ونحن هنا نكتفي من أسمائها بذكر ما ثبت عن النبي ﷺ وهي سبعة أسماء :

الاسم الأول : فاتحة الكتاب : وقد ثبت هذا الاسم بأدلة كثيرة منها :

ما جاء عن عبادة بن الصّامت ﷺ قال:قال رسول ﷺ :(لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)(١٤) ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عليه السلام قَاعِدٌ عِنْدَ النبي ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:" هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ : هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ :" أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ)(١٥) .

وسمّيت"فاتحة الكتاب": لأنه تفتح قراءة القرآن بها لفظاً ، ويُفتتح بكتابتها المصاحف خطاً ، ويفتتح بها الصلوات تلاوة، فهي فَواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة" . وقيل سميت بذلك : " لأن الحمد فاتحة كل كلام"(١٦) . وقيل :" لأنها فاتحة أبواب المقاصد في الدنيا وأبواب الجنان في العقبى ، وإما لأن انفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب بها ؛ لأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان ؛ لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات ويقتبس بسناها أنوار الآيات "(١٧) ، فلو فهم المرء الفاتحة فسيفهم كل سور القرآن التي بعدها.

الاسم الثاني والثالث : أم الكتاب وأم القرآن : وقد ثبت هذا الاسم بأدلة كثيرة من السنة منها ما جاء عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْتَرِئْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ)(١٨) ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النبي ﷺ قَالَ : (مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهْىَ خِدَاجٌ - ثَلاَثًا - غَيْرُ تَمَامٍ)(١٩) . وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ فَقَالُوا : هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ ؟ قَالُوا : إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا وَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا ، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنْ الشَّاءِ ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ فَبَرَأَ ، فَأَتَوْا بِالشَّاءِ فَقَالُوا : لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ:(وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ)(٢٠) .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أُمُّ الْقُرْآنِ ، وَأُمُّ الْكِتَابِ ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي)(٢١) .

وسمّيت "بأمّ الكتاب وأم القرآن " : لأنها أصل القرآن منها بدئ القرآن، وأم الشيء : أصله ، تشبيهاً بالأم التي هي منشأ الولد ، ويقال لمكة: أم القرى لأنها أصل البلاد دحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصلاة "(٢٢) .

قال الطبري(ت : ٣١٠هـ) : " وسمّيت "أم القرآن" لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخُّر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة،وذلك من معناها شبيهٌ بمعنى فاتحة الكتاب ، وإنما قيل لها -بكونها كذلك- أمَّ القرآن، لتسمية العرب كل جامع أمرًا -أو مقدِّمٍ لأمر إذا كانت له توابعُ تتبعه، هو لها إمام جامع- "أمًّا".فتقول للجلدة التي تجمع الدُّماغ: "أم الرأس". وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش - "أمًّا"... وقد قيل إن مكة سميت "أمّ القُرى"، لتقدُّمها أمامَ جميعِها، وجَمْعِها ما سواها. وقيل: إنما سُميت بذلك، لأن الأرض دُحِيَتْ منها فصارت لجميعها أمًّا"(٢٣) . وقال البيضاوي (ت : ٦٨٥ه) : " وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا. أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والإطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء "(٢٤) .

الاسم الرابع : السبع المثاني : وقد ثبت هذا الاسم في الكتاب والسنة ، قال تعالى ممتناً على رسوله الكريم: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾(الحجر: ٨٧) ، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المقصود بالسبع المثاني سورة الفاتحة(٢٥) ، خلافاً لمن قال أنها السبع الطوال التي لم تكن قد نزلت بعد لأن غالبها مدني ، وقد جاءت السنة بذلك كما في حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ:(أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ

وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ثُمَّ قَالَ لِي:(لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ:(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)[٢٦].

وسميت"السَّبْعُ المثاني":لأنها سبعُ آيات بالإجماع ، لا خلاف بين الجميع من القرَّاء والعلماء في ذلك ، وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات.فقال معظم أهل الكوفة:صارت سبع آيات بـ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ورُوي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين. وقال آخرون:هي سبع آيات، وليس منهن{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ولكن السابعة "أنعمت عليهم".وذلك قول عُظْم قَرَأةِ أهل المدينة ومُتْقنيهم .وسميت مثاني:لأنها تُثْنَى قراءتها في كل ركعة من الصلاة تطوعاً ومكتوبة،أي تتكرر ، وكذلك كان الحسن البصري يتأوّل ذلك[٢٧] ، قال ابن الأنباري (ت:٥٥٧) :" والمعنى آتيناك السبع الآيات التي تثنى في كل ركعة"[٢٨] ، وقال مجاهد سميت مثاني:"لأن الله استثناها لهذه الأمة فذخرها لهم ، فلم يعطها أمة قبلهم، ورواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس بإسناد حسن قوي [٢٩] ، كما قال عليه ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ، إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ) [٣٠] ، وقيل : "لاشتمالها على الثناء على الله تعالى"[٣١] .

الاسم الخامس : القرآن العظيم : وقد ثبت هذا الاسم بأدلة كثيرة من السنة منها :

ما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : وَقَرَأَ عَلَيْهِ أُبَيٌّ أُمَّ الْقُرْآنِ فَقَالَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ، إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ) ، قوله ﷺ عن الفاتحة:(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ) [٣٢] .

وسميت :"القران العظيم": لأنها أعظم سورة فيه ، ولاشتمالها على مقاصده الأساسية ، قال القرطبي:"سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن ؛ وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله ، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى ، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين وعلى بيانه عاقبة الجاحدين "[٣٣] . فهي متضمنة معاني القرآن الكريم.

الاسم السادس : سورة الحمد : وقد ثبت هذا الاسم في ما جاء عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهُ ﷺ :(إِذَا قَرَأْتُمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاقْرَءُوا (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إِنَّهَا أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي وَ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إِحْدَاهَا)[٣٤]، وحَمَلَ كثيرٌ من النَّاس حديثَ: (كان يفتتحُ الصَّلاة بـ { الحمد لله رب العالمين } على أنَّه أُريد ذكر اسم السُّورة .

وسميت :" بسورة الحمد ": لأنه ذكر لفظ الحمد في أولها ، والحمد فاتحة كلِّ كلام ، وهي مع أربع سور بدأت بالحمد هي : " الأنعام ، والكهف ، وسبأ ، وفاطر " ولكن إذا أطلق لفظ سورة الحمد انصرف الذهن لسورة الفاتحة لأنه صار علم عليها بالغلبة "[٣٥] ، ولأنَّ " الثناء على الله سبحانه في هذه السُّورة هو المقصودُ الأعظم من سائرِ معانيها، وقد استوعب شطرها، فهو الغالب عليها، فسمِّيت بما غَلَبَ عليها، بخلافِ غيرِها "[٣٦] .

الاسم السابع : سورة الصلاة : وقد ثبت هذا الاسم في ما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال:(قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ:(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي – وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي – فَإِذَا قَالَ:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)قَالَ:هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)[٣٧]. والمراد بالصلاة هنا سورة

الفاتحة ، قال المرسيُّ : " لأنها من لوازمها فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه " (٣٨) .

قال النووي (ت : ٦٧٧ه) : " قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها كقوله ﷺ : "الحج عرفة" ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة، قال العلماء: والمراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى وتمجيد وثناء عليه وتفويض إليه،والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار"(٣٩) .

وسميت:" بسورة الصلاة ": لوجوب قراءتها فيها ، ولتوقف الصلاة عليها ، ولا تصحُّ إلاَّ بها ، وذلك يدل على أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة "(٤٠) .

ولما كانت سورة الفاتحة هي لب القرآن وخلاصته ناسب أن تسمى بفاتحة الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني ، والقرآن العظيم ، ولما كان الحمد لله هو أعظم ثناء عليه وأحق ما قال العبد افتتح به هذه السورة العظيمة وسميت به ، ولما كانت الصلاة أعظم الشعائر التعبدية سميت الفاتحة بها ، رفعاً لشأن الصلاة وبياناً لفضل الفاتحة ، ولما كانت هي أعظم ما يكرر وأكثره فضلاً سميت بالسبع المثاني ، فهي أسماء تدل على مقاصد عظيمة لهذه السورة الكريمة،بل هذه الأسماء هي مفاتيح لمضمونها الذي جاء القرآن الكريم لبيانه .

المطلب الثاني : فضائل سورة الفاتحة

هذه السُّورة العظيمة لها فضائلُ كثيرة ، لم يثبت في فضائلِ شيءٍ من السُّور مثل ما ثبت في فضلِها، فهي أعظم سورة في القرآن الكريم ، وهي ركن في الصلاة التي هي أعظم العبادات بعد الشهادتين ، وهي رقية إذا قرئت على المريض شُفي بإذن الله ، وهي قد جمعت معاني القرآن الكريم في التوحيد والأحكام والجزاء ، قال القرطبي : " وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها حتى قيل : إن جميع القرآن فيها. وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم

القرآن. ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده ولا تصح القربة إلا بها ولا يلحق عمل بثوابها وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم "(٤١)، وقد ورد في فضلها أدلة كثيرة تدل على مكانتها وتقدمها منها :

الفضيلة الأولى: أنَّ الله تعالى أمتن بها على رسوله ﷺ ووعد بإعطائه ما احتوت عليه ، وبَشَّرَ بنورها وفضلها ملك خاص لم ينزل قبل ذلك إلى الأرض ، وفتح لها باب من السماء لم يفتح قبل ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (الحجر:٨٧). والمراد بالسبع المثاني هنا : سورة الفاتحة بنص حديث البخاري المتقدم الذي فيه:(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ:السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ). قال الشنقيطي (ت : ١٣٩٣ه) : " فهذا نص صحيح من النَّبي ﷺ أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم : فاتحة الكتاب، وبه تعلم أن قول من قال إنها السبع الطوال غير صحيح ، إذ لا كلام لأحد معه ﷺ ، ومما يدل على عدم صحة ذلك القول: أن آية الحجر هذه مكية، وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة، والعلم عند الله تعالى "(٤٢) ، وهذا يدل على أن هذه السورة احتوت على أجل وأعظم النعم عن كل ما سواها ؛ ولذا بشر النبي ﷺ بعظم فضلها ، كما جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عليه السلام قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:" هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ:هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَسَلَّمَ ،وَقَالَ:" أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ)(٤٣).

الفضيلة الثانية: أنَّها أعظمُ سورةٍ في القرآن:عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ:كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ

أُصَلِّي، فَقَالَ:(أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ثُمَّ قَالَ لِي:(لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ:أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟قَالَ:(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)(٤٤) .قال ابن حجر (ت :٨٥٢هـ) :" والمراد بالعِظَم عظم القدر بالثواب المرتب على قراءتها وإن كان غيرها أطول منها؛وذلك لما اشتملت عليه من المعاني المناسبة لذلك"(٤٥)، وقال القرطبي:" والتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث الصفة وهذا هو الحق"، وأن ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(البقرة: ١٦٣)، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجودا مثلا في ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ وما كان مثلها"(٤٦).

الفضيلةُ الثالثة: أنَّه لم ينزل في القرآن، ولا في التَّوراةِ ولا في الإنجيلِ، مثلُها:كما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:وَقَرَأَ عَلَيْهِ أُبَيٌّ أُمَّ الْقُرْآنِ فَقَالَ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ)[٤٧] . قال ابن العربي (ت : ٥٤٣هـ) : قوله : "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها" وسكت عن سائر الكتب كالصحف المنزلة والزبور وغيرها لأن هذه المذكورة أفضلها وإذا كان الشيء أفضل الأفضل صار أفضل الكل . كقولك : زيد أفضل العلماء فهو أفضل الناس "[٤٨] .

الفضيلةُ الرابعة: أنَّها متضمِّنة لمقاصِدِ الكتبِ المنزَّلةِ مِن السَّماءِ كلِّها : فذكرَ ابنُ أبي حاتمٍ بإسناده عن الحَسنِ قال: أنزل الله سُبحانه أربعمائة كتاب وأربعة كتب ، جَمَعَهَا في أربعةِ كتبٍ : التَّوراة والإنجيل والزَّبور والقرآن، وجمع

الأربعة في القرآن، وجَمع القرآن في المفصَّل، وجَمع المفصَّل في الفاتحةِ وجمع عِلم الفاتحةِ في: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.ويَشهَدُ لهذا تسميتُها: أمّ الكتاب، وأمُّ الشيء: أصْلُهُ ومجتمعُه "(٤٩) ، وسوف يأتي الحديث عن بيان اشتمال هذه السُّورة على جميع مقاصدِ الكتب المنزَّلة إن شاء الله .

الفضيلة الخامسة:أنَّ هذه السُّورة مختصَّةٌ بمُناجاةِ الرَّبِّ تعالى : ولهذا اختصَّت الصَّلاةُ بها، فإنَّ المصلِّي يُناجي رَبَّه، وإنَّما يُناجي العبدُ رَبَّه بأفضلِ الكلامِ وأشرفِه، وهي مقسومةٌ بينَ العبدِ والرَّبِ نصفين ، فنصفُها الأوَّل ثناءٌ للرَّبِّ عزَّ وجلَّ، والرَّبُّ تعالى يَسمَعُ مُنَاجَاة العَبدِ له، ويردُّ على المناجِي جوابَه ويسمعُ دعاءَ العبدِ بعدَ الثناءِ ويُجيبُه إلى سؤالِه، وهذه الخصوصيّةُ ليسَتْ لغيرها من السُّوَرِ،كما ثبت عن النبي ﷺ قال : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بيني وَبَيْنَ عبدي نِصْفَيْنِ ولعبدي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حمدني عبدي وَإِذَا قَالَ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عبدي.وَإِذَا قَالَ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ).قَالَ مجدني عبدي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عبدي - فَإِذَا قَالَ(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).قَالَ هَذَا بيني وَبَيْنَ عبدي ولعبدي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ).قَالَ هَذَا لعبدي ولعبدي مَا سَأَلَ)(٥٠) .

الفضيلةُ السادسة:أنَّ قراءةَ الفاتحةِ يَحصُلُ بها كمالُ الصَّلاةِ وقبولُها: وبدونِها تكون الصَّلاةُ خِدَاجًا ناقصةً غيرَ تمام، بل لا تكون الصَّلاةُ مجزيةً مَقبولةً بدُونِ تِلاوَتِها، فإذا تُليت في الصَّلاةِ صارت الصَّلاةُ تامةً مجزيةً، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْتَرِئْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ)(٥١) ،وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فهي خِدَاجٌ - ثَلاَثًا – غَيْرُ تَمَامٍ) (٥٢). يقول سيد قطب: "إن في هذه السورة من كليات العقيدة الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجيهات، ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة ، وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها"(٥٣) .

الفضيلةُ السابعة : أنَّ سُورةَ الفاتحةِ شفاءٌ من كلّ داءٍ : فهي شفاءٌ مِن الأمراضِ القلبيَّةِ المعنوية، وشِفاءٌ من الأسقامِ البدَنيَّة الحسية؛ "فالقرآنُ كلُّه شفاءٌ ، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء:٨٢) والفاتحةُ أعظمُ سُورةٍ فيه، فلها من خصوصيَّة الشِّفاءِ ما ليس لغيرها، ولم يَزْل العارفون يتَداوَون بها من أسقامِهم، ويجدون تأثيرَها في البُرْءِ والشِّفَاءِ عاجلاً" [٥٤] ،كما جاء عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ فَقَالُوا:هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ،فَقَالُوا إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا وَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنْ الشَّاءِ،فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ فَبَرَأَ،فَأَتَوْا بِالشَّاءِ فَقَالُوا لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ:(وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ)[٥٥] .

المطلب الثالث : زمان نزول سورة الفاتحة وعدد آياتها

اختلف العلماء في سورة الفاتحة أهي مكية أم مدنية ؟ فقال ابن عباس وقتادة وأبو العالية الرياحي وغيرهم : هي مكية . وقال أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري وغيرهم : هي مدنية .

يقول القرطبي والأول أصح لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾(الحجر: ٨٧) ، والحجر مكية بإجماع " فلم يكن يمنّ عليه بها قبل نزولها "[٥٦] .ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة . وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير " الحمد لله رب العالمين "، يدل على هذا قوله عليه السلام: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب) ، والله أعلم[٥٧] .

وآياتها سبع ، قال القرطبي : " أجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات "[٥٨] ، وقال ابن جرير " لا خلاف بين الجميع من القرَّاء والعلماء في ذلك . وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات. فقال عُظْمُ أهل الكوفة: صارت سبع آيات بـ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ورُوي ذلك عن جماعة من

أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين. وقال آخرون : هي سبع آيات ، وليس منهن { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ولكن السابعة "أنعمت عليهم". وذلك قول عُظْم قَرَأةِ أهل المدينة ومُتْقنيهم "(٥٩) .

قال ابن العربي: " لَا خِلَافَ أَنَّ الْفَاتِحَةَ سَبْعُ آيَاتٍ ، فَإِذَا عَدَدْتَ فِيهَا { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } آيَةً اطَّرَدَ الْعَدَدُ ، وَإِذَا أَسْقَطْتَهَا تَبَيَّنَ تَفْصِيلُ الْعَدَدِ فِيهَا . قُلْنَا : إنَّمَا الِاخْتِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْعَدَدِ فِي قَوْلِهِ : { أَنْعَمْت عَلَيْهِمْ } هَلْ هُوَ خَاتِمَةُ آيَةٍ أَوْ نِصْفُ آيَةٍ ؟ وَيُرَكَّبُ هَذَا الْخِلَافُ فِي عَدِّ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وَالصَّحِيحُ أَنَّ قَوْلَهُ:{أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } خَاتِمَةُ آيَةٍ ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ تَامٌّ مُسْتَوْفي ، فَإِنْ قِيلَ: فَلَيْسَ بِمُقَفًّى عَلَى نَحْوِ الْآيَاتِ [قَبْلَهُ] قُلْنَا : هَذَا غَيْرُ لَازِمٍ فِي تَعْدَادِ الْآيِ ، وَاعْتَبِرْهُ بِجَمِيعِ سُوَرِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ تَجِدْهُ صَحِيحًا إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا قُلْنَا "(٦٠) .

المبحث الثاني

المعنى العام لسورة الفاتحة

معنى قوله تعالى(٦١):﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الفاتحة: ٢) ، " الحمد لله": بمعنى وصف الله جل ثناؤه بالكمال في ذاته وصفاته وأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل،فأسماءه حسنة ، وصفاته كلها كمال ، وأفعاله كلها مقدسة عن كل ظلم أو نقص أو عيب ، مع المحبة والتعظيم ؛ لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم لا يسمى حمداً، وإنما يسمى مدحاً ، ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح لكنه يريد أن ينال منه شيئاً كما يفعل بعض الشعراء للأمراء والحكام محبة في مال أو خوفاً منهم ، ولكن حمدنا لربنا عزّ وجل حمد محبةٍ ، وتعظيمٍ ، فصفاته أجل الصفات ، وإحسانه عم البريات ، فله الحمد الكامل والثناء الجميل والوصف الكريم بجميع الوجوه(٦٢) ، ومن ذلك أنه { رَبِّ الْعَالَمِينَ } المربي جميع العالمين بخلقه إياهم ، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة ، فمنه

تعالى.وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة: فالعامة : هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا .

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه ، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر ، فهو الخالق المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور [٦٣] .

و{الْعَالَمِينَ}والعالَمون جمع عالَم ، والعالَم : جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، وهي أصناف المخلوقات في السماوات والأرض في البر والبحر كعالم الملائكة، وعالم الجن ، وعالم الإنس ، وعالم الحيوان، وعالم الطيور، وكل قرن منها وجيل يسمى عالماً أيضًا،قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٦٥)"[٦٤]، فكل موجود سوى الله ﷻ يدخل في معنى العالمين ،كما قال تعالى رداً على سؤال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾(الشعراء:٢٣– ٢)[٦٥] ، ولذا أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله رب العالمين قال:" إله الخلق كلهم، السموات كلهن ومن فيهن، والأرضون كلهن ومن فيهن ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٦٦] .

فدل قوله (رب العالمين) على انفراده" بالخلق والتدبير والنعم ، مع تمام غناه وتمام فقر العالمين إليه بكل وجه واعتبار" [٦٧] . فمن عرف أن الله جل وعلا له كل كمال ومنه كل نعمة ، علم أنه المستحق لكل حمد ومحبة وتعظيم ، حمداً له في كل أحواله ، وبجميع أنواع المحامد ؛ فهو المحمود من كل الوجوه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو المحمود على كل حال ؛ لأن الألف واللام في الحمد لاستغراق جميعُ المحامد والشكرُ الكامل لله ، كما أن اللام في لفظ الجلالة (لله) للاختصاص والاستحقاق كما يقال : الدار لزيد ، ولهذا كان النبي ﷺ : إِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ يَسُرُّهُ ، قَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ) ، وَإِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ يَكْرَهُهُ ، قَالَ :(الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ)[٦٨] ، وهي تحث كذلك

على حمد الله تعالى كما قال ابن جرير: {الحمد لله} ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا:{ الحمد لله} ، واعلم أن الحمد لله هي كلمة العبودية التي تحمل معاني الحب والثناء والتعظيم لله ﷻ ؛ ولذا قالت الملائكة : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(البقرة:٣٠) ، وقد جاء في صحيح مسلم ما يبين عظم هذه الكلمة ووزنها عند الله ،فعَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ . وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...)[٦٩] .

ومعنى قوله جل ثناؤه:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ومعناه : ذو الرحمة التي لا نظير له فيها ، ورحمن أشد مبالغة من رحيم ؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، قال ابن جرير:" حدثنا السري بن يحيى التميمي ، حدثنا عثمان بن زُفَر، سمعت العَرْزَميّ يقول: الرحمن الرحيم، قال: الرحمن لجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين. قالوا: ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ (الفرقان: ٥٩) ، وقال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه: ٥) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٤٣) فخصهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين[٧٠] .

وقال قطرب(ت:٢٠٦):"يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد.قال الزجاج (ت:٣١١ه): وهذا قول حسن،وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب،ويستغنى عن الاستشهاد، والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد : إنه تفضل بعد تفضل ، وإنعام بعد إنعام، وتقوية لمطامع الراغبين، ووعد لا يخيب آمله "[٧١] ، وقال ابن عاشور: " وهو وجه ضعيف إذ التوكيد خلاف الأصل ، والتأسيس خير من التأكيد والمقام هنا بعيد عن مقتضى التوكيد "[٧٢] .

وقيل : إن صيغة فعلان تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة (كفعال)، وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة كعطشان وغضبان ، وأما صيغة (فعيل)

فإنها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس كعليم وحكيم وجميل . والقرآن لا يخرج عن الأسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله ﷻ التي تعلو عن مماثلة صفات المخلوقين ، فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إفاضة النعم والإحسان ، ولفظ الرحيم يدل على منشأ الرحمة والإحسان وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة ، وبهذا المعنى لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر ، ولا يكون الثاني مؤكداً للأول ؛ فإذا سمع العربي وصف الله جل ثناؤه بالرحمن وفهم أنه المفيض للنعم فعلا ، لا يعتقد منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً .لأن الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وإن كان كثيراً ، فعندما يسمع لفظ الرحيم يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى[٧٣] .

وهذان الاسمان يندرج تحتهما كل اسم دل على الرحمة والرأفة والتلطف والإحسان والجود والبر والحنان والمنة وغيرها.ومعناهما المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها ،حتى وسعت كل شيء ، وعمت كل مخلوق ، فكل النعم التي تحيط بنا من آثار رحمته "ولسعة رحمته ستر عيوب خلقه وأحب الستر،وغفر ذنوب عبده ولو بلغت عنان السماء ، ورزق خلقه وهم يسبونه ويتعرضون لسخطه،ولكمال رحمته رحم من يرحم عباده فقال:(الرَّاحِمُونَ يرحمهم الرحمن ، ارحَمُوا مَن في الأرض،يرحمْكم من في السماءِ)(٧٤)،وهو القائل:﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(الأعراف:٥٦)(٧٥)، وقيل أيضا:إنما سمى نفسه رحيما لأنه لا يكلف عباده جميعاً ما لا يطيقون وكل ملك يكلف عباده جميع ما لا يطيقون فليس برحيم "[٧٦] .

ومعنى قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(الفاتحة: ٤) : قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بالألف{مالك} وقرأ الآخرون" نافع وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء ، وابن عامر {ملك} بغير ألف(٧٧) ،والله هو ملك الملوك ومالك الدنيا والآخرة وما فيهما،قال تعالى:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ (النجم:٢٥)،والفرق بينهما أن المالك ذو المِلك بكسر الميم،والملك ذو الملك بضمها،وقد اختلف العلماء أيهما أبلغ ملك ، أو مالك؟ قال الشوكاني

(ت : ١٢٥٠هـ):" والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه ، أن الملك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله [٧٨] .

وقال صاحب المنار : " وإنما تظهر هذه التفرقة في عبد مملوك في مملكة لها سلطان ، فلا ريب أن مالكه هو الذي يتولى جميع شؤونه دون سلطانه ، أما الله جل وعلا فهو مالك كل شيء كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ (الانفطار: ١٩) ، وهو ملك على كل من ملك كما قال تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (غافر: ١٦) فهي تدل على كمال ملكه وعظيم سلطانه وقهره . والله أعلم"[٧٩] ، وأن الخلق مهما ملكوا من أموال ومناصب فهم فقراء عاجزون مملوكون لربهم ، وأن الأمر بيده ، والمشيئة المطلقة له، وأن ما قدره لك سوف يأتيك على ضعفك ، وما لم يكن لك لن يأتيك على قوتك ، قال تعالى:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(فاطر:٢) ، فالملك " يرجع إلى ثلاثة أمور : صفات الملك التي هي صفاته العظيمة من كمال القوة والعزة والقدرة والعلم المحيط والحكمة الواسعة والمشيئة النافذة ونحوها ، وملكه للتصاريف والشؤون في جميع العوالم ، وذلك لأنه في اتصافه جل ثناؤه بصفة الملك يدل على ما يلزم من آثارها التي منها أنه يأمر وينهى ، ويعطي ويمنع ، ويثيب ويعاقب،ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات بلا ممانع ولا منازع ، وأن جميع الخلق مماليكه وعبيده ، فهو الملك الذي له ملكُ العالم العلوي والسفلي، وله التدبيرات النافذة فيه ، ليس لله في ذلك مشارك "[٨٠] . وفي الجمع بين القراءتين فائدة عظيمة؛وهي أن ملكه جلّ وعلا ملك حقيقي؛ لأن مِن الخلق من يكون ملكاً ؛ولكن ليس بمالك:يسمى ملكاً اسماً وليس له من التدبير شيء ؛ ومن الناس مَن يكون مالكاً ولا يكون ملكاً كعامة الناس ؛ ولكن الرب عز وجل مالكٌ وملِك [٨١] ، وأن ملكه باقي وملك غيره زائل .

وأضاف الملك ليوم الدين، الذي هو يوم الحساب والجزاء ، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم ، خيرها وشرها مع كونه مالكا للأيام كلها ، لأن الأملاك

يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، وهو اليوم الذي يجمع الله فيه الخلق كلهم ملوكاً ومملوكين، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ (الفرقان:٢٦)، ولأنه في ذلك اليوم يظهر للخلق جميعاً كمال ملكه وعدله وحكمته وانقطاع أملاك الخلق حتى إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا كلهم مذعنون لعظمته ، خاضعون لعزته ، راجون ثوابه ، خائفون من عقابه .

ومعنى قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(الفاتحة: ٥) ، قوله : { إِيَّاكَ } "إياك" مفعول به مقدم ؛ وعامله : (نعبد) ، وقُدِّم على عامله . وفي اللغة الأصل أن يقدم العامل على المعمول . لإفادة الحصر والاهتمام ، وجاءت نعبد بصيغة المضارعة لتفيد الاستمرار ، ومعنى{ نَعْبُد } أي نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع مع أقصى درجات الحب ، قال ابن كثير (ت : ٧٧٤هـ) : "العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"[٨٢] ، والذل والطاعة إذا أضيف إليهما المحبة كانت هي العبادة ، فالطاعة المطلقة لأمره ونهيه مع محبة الآمر الناهي مع الذلة هي العبادة . وهي جامعة لكل شعائر الدين ؛ لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

و{ نَسْتَعِينُ } نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا ، لأن أمر العباد كله بيدك وحدك لا شريك لك ، لا يملك أحد معك مثقال ذرة ، وهي بمعنى الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به في تحصيل ذلك ، "وهي ثمرة التوحيد واختصاص الله تعالى بالعبادة ، فمن كان موحداً خالصاً لا يستعين بغير الله تعالى قط "[٨٣] ، لأنه يعلم فقر الخلق جميعاً إليه، فإن الاستعانة بالله هي " طلب المعونة على ما لا قِبل للبشر بالإعانة عليه ولا قبل للمستعين بتحصيله بمفرده"[٨٤] ، ولهذا قال المحققون :لا حول عن معصية الله إلاّ بعصمته، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيقه"[٨٥] .

والاستعانة داخلة في معنى العبودية ولكنها خصت بالذكر إشارة إلى أن تحقيق العبودية يحتاج إلى استعانة، واستقامة على الصراط المستقيم، ولأنها رأس

العبودية؛ ولذا خصها الله بالذكر مع العبادة كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾(هود: ١٢٣)،فالتوكل من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أن الجسد لا يقوم بدون رأس فكذلك الدين لا يقوم بدون توكل ، ولأن أمور الدين والدنيا لا تقوم إلا بعون الرب لعبده ، فإن العبد الذي عرف قدرة الله وقيوميته وعلمه لم يلتفت لغيره، وعلى قدر استعانة العبد وتوكله وثقته تكون كفاية الله له قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق : ٣) .

ومعنى قوله تعالى :﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة : ٦ – ٧) قوله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ بمعنى : وَفِّقْنا للثبات عليه، كما رُوي ذلك عن علي وأبي بن كعب وابن عباس ، كما يقال للقائم : قم حتى أعود إليك أي : دم على ما أنت عليه ، وهي تدل على نفي الاستطاعة للصراط إلا بتوفيق الله تعالى ، ولذلك صار الذين اهتدوا إليه ممن أنعم الله عليهم " وإلا ما كان لا ختصاص المنعمين بالذكر معنى "[٨٦] .

والصراط المستقيم :" قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام، واختاره مقاتل . وقال علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: هو القرآن، وقال سعيد بن جبير ﷺ : طريق الجنة. وقال سهل بن عبد الله : طريق السنة والجماعة . وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله ﷺ. وقال أبو العالية والحسن : رسول الله وآله وصاحباه من بعدِه أبو بكر وعمر ، وقال ابن الحنفية : هو دين الله الذي لا يقبل من العِباد غيرَه "(٨٧) ، وهي أقوال لا تعارض بينها . قال ابن القيم : " فإن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته ، وحقيقته شيء واحد ، وهو طريق الله الذي نصه لعباده على ألسن رسله وجعله موصلا لعباده إليه ، ولا طريق لهم إليه سواه بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا ، وهو إفراده بالعبودية ، وإفراد رسوله بالطاعة ، فلا يشرك به أحدا في عبوديته ، ولا يشرك برسوله أحدا في طاعته فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول ، وهذا معنى قول بعض العلماء : " إن السعادة والفلاح كله مجموع في شيئين صدق محبته ، وحسن معاملته" ، وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله

وأن محمدا رسول الله ، فأي شيء فسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين ، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ولا تكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته،الأول يحصل بالتحقيق بشهادة أن لا إله إلا الله ، والثاني يحصل بالتحقيق بشهادة أن محمدا رسول الله ، وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل له ، وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به ، فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها "[٨٨] .

وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت والدوام ، وبمعنى طلب مزيد الهداية وكمالها من جميع الوجوه ؛ لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة .

ومعنى قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ مزيد بيان وعناية في تخصيص الصراط المستقيم بمن منَّ عليهم بالهداية والتوفيق واختصهم بنعمته وحباهم بكرامته، قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان،والاستقامة،وهم الأنبياء عليهم السلام،وقيل:هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (النساء:٦٩)، والإنعام إيصال النعمة والإحسان إلى الغير إذا كان من العقلاء ، وأطلقه هنا ليشمل كل إنعام ؛ وإن كان الإسلام هو عنوان النعم . وهي تفيد أن الذين أنعم الله عليهم على مر الدهور كانوا على الصراط المستقيم ، بما يلفت إلى أهمية الإتباع للحق لا التقليد للخلق ، وأن من أراد أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم أن يقتفي آثارهم في الهدى والاستقامة .

ومعنى قوله تعالى:﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ غير: لفظ يستثنى به، أي ويستثنى منهم الذين غضبت عليهم ، لتركهم الحق بعد معرفته كاليهود ، والضالين عن الهدى الذين عبدوا الله بغير ما شرع عن جهل وضلال كالنصارى. يقول ابن القيم : " فالشقاء والكفر ينشأ من عدم معرفة الحق تارة ، ومن عدم

إرادته والعمل به أخرى ، فكفر اليهود نشأ من عدم إرادة الحق والعمل به وإيثار غيره عليه بعد معرفته فلم يكن ضلالا محضا ، وكفر النصارى نشأ من جهلهم بالحق وضلالهم فيه ... ثم لما كان الهدى والفلاح والسعادة لا سبيل إلى نيله إلا بمعرفة الحق وإيثاره على غيره ، وكان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق ، والبغي يمنعه من إرادته كان العبد أحوج شيء إلى أن يسأل الله تعالى كل وقت أن يهديه الصراط المستقيم تعريفا وبيانا وإرشادا وإلهاما وتوفيقا وإعانة فيعلمه ويعرفه ثم يجعله مريدا له قاصدا لإتباعه فيخرج بذلك عن طريقة المغضوب عليهم الذين عدلوا عنه على عمد وعلم ، والضالين الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال "[٨٩].

المبحث الثالث

المناسبات بين كلمات وآيات سورة الفاتحة:

المتدبّر لسورة الفاتحة يجدها متناسبة متعانقة بين كل كلماتها وآياتها بصورة تبهر العقول بتناسقها ودقة انتظامها،إليك طرفاً من ذلك الروعة والجمال الذي يبهج العقول .

ففي افتتاح تلاوة القرآن الكريم بالبسملة تناسق مع ما أمر الله به عباده" أن يبتدئوا عند فواتح أمورِهم بتسمية الله لا بالخبر عن عظمته وصفاته كالذي أمِروا به من التسمية على الذبائح والصَّيد ، وعند المطعم والمشرب، وسائر أفعالهم ، وكذلك الذي أمِروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله ، وصدور رسائلهم وكتبهم"[٩٠] .

وفي البدء في فاتحة كتابه بـ " الحمد " قال أهل التحقيق : " لما كانت هذه الكلمة فاتحة الشكر جعلها الله فاتحة كلامه ، ولما كانت خاتمته جعلها الله خاتمة كلام أهل الجنة فقال تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(يونس:١٠) "[٩١] ، وهي أحق وأوجب وأثبت كلمة تقال لما تضمنته من تحقيق التوحيد وتمام التفويض ، كما جاء عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ:(رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ)[٩٢] ، كما فيها بيان أدب مناجاة الله " جرياً على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل " ، قال أمية ابن أبي الصلت (ت: ٥هـ) الشاعر الجاهلي يمدح عبد الله بن جُدْعان :

أَأَذْكُرُ حاجتي أَم قَدْ كفاني حَيَاؤُكَ إِنَّ شيمتَك الحَياء

إذا أَثنى عليك المرءُ يوما كفـاه عن تَعَرُّضِه الثَّناءُ[٩٣]

ولما أثبت الله لنفسه الحمد بين مستحق الحمد في قوله: (رب العالمين) بما يدل على انفراده بالخلق والتدبير والنعم وكمال غناه ، وتمام فقر العالمين إليه بكل وجه،"وفى ذلك إشعار لعباده بأنهم مكرمون من ربهم ، إذ الأمر بغير توجيه فيه إيماء إلى إهمال عقولهم ، أما إذا كان موجهًا ومعللا فإنه يكون فيه إشعار لهم برعاية ناحية العقل فيهم ، وفى تلك الرعاية تشريف وتكريم لهم"[٩٤] .

ولما وصف نفسه ﷻ بأنه " رب العالمين " وكان المربوبون ضعفاء ، وكان احتياجهم للرحمة واضحاً وكان ترقبهم إياها من الموصوف بها بالذات ناجحاً " جاء ذكرها ، ولما كانت الربوبية نعمة لأنها بمعنى إبلاغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً وذلك يجمع النعم كلها، والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والأذى ، فأتبع ذلك بوصفه بالرحمن تنبيهاً على أن تلك النعم الجليلة وصلت إلينا بطريق الرفق واليسر ونفي الحرج ، حتى في أحكام التكاليف والمناهي والزواجر فإنها مرفوقة باليسر بقدر ما لا يبطل المقصود منها، فمعظم تدبيره تعالى بنا هو رحمات ظاهرة كالتمكين من الأرض وتيسير منافعها ، ومنه ما رحمته بمراعاة اليسر بقدر الإمكان مثل التكاليف الراجعة إلى منافعنا كالطهارة وبث مكارم الأخلاق ، ومنها ما منفعته للجمهور فتتبعها رحمات الجميع لأن في رحمة الجمهور رحمة بالبقية في انتظام الأحوال كالزكاة "[٩٥] .

وقيل أتبع ﷻ هذا الوصف وهو { رَبِّ العالمين } ، بوصف آخر هو {الرحمن الرحيم }لحكم سامية من أبرزها: أن وصفه ﷻ بـ {رَبِّ العالمين } أي : مالكهم ، قد يثير في النفوس شيئًا من الخوف أو الرهبة ، فإن المربى قد يكون خشنًا جبارًا متعنتًا ، وذلك مما يخدش من جميل التربية ، وينقص من فضل التعهد لذا قرن - سبحانه - كونه مربيًا ، بكونه الرحمن الرحيم ، لينفي بذلك هذا الاحتمال ، وليفهم عباده بأن ربوبيته لهم مصدرها عموم رحمته وشمول إحسانه ، فهم برحمته يوجدون، وبرحمته يتصرفون ويرزقون ، وبرحمته يبعثون ويسألون . ولا شك أن في هذا الإفهام تحريضًا لهم على حمده وعبادته بقلوب مطمئنة ، ونفوس مبتهجة ، ودعوة لهم إلى أن يقيموا حياتهم على الرحمة والإحسان ، لا على الجبروت والطغيان ، فالراحمون يرحمهم الرحمن "[٩٦] .

وقيل : لما وصف نفسه بما يدل على كبريائه وعزته وجبروته وقهره ثنى بما يدل على سعة رحمته وكمال لطفه وسعة بره وفضله وإحسانه فقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والإكرام ، قال القرطبي :" قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وصف نفسه تعالى بعد "رب العالمين " بأنه " الرحمن الرحيم " ؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ "رب العالمين"ترهيب قرنه بـ "الرحمن الرحيم" لما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع"[٩٧] ،كما قال تعالى: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾(الحجر:٤٩-٥٠) ،وفي صحيح مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:(لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)[٩٨] . وقيل في سبب ذكرها بعد (الحمد لله رب العالمين):" ليذكرهم أن تربيته للعالمين ليست لحاجة به إليهم كجلب منفعة أو دفع مضرة وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه"[٩٩]. وقيل: "لما أراد ذكر يوم الدين لأنه ملِكه ومالكه، وفيه يقع الجزاءُ، والعقاب، والثواب وفى ذكره يحصل للمؤمنين مالا مزيد عليه: من الرعب والخشية ، والخوف ، والهيبة ؛ قدَّم عليه ذكر الرَّحمن الرحيم تطميناً

له، وتأْميناً، وتطييباً لقلبه، وتسكيناً، وإِشعاراً بأَن الرَّحمة سابقة غالبة، فلا ييأَس ولا يأْسى فإِن ذلك اليوم - وإِن كان عظيماً عسيرا - فإِنما عُسْره وشِدّته على الكافرين؛ وأَمَّا المؤمن فبَيْن صفتي الرَّحمن الرَّحيم من الآمنين "(١٠٠) .

وفي تقدّم اسمَ "الله" على اسمه "الرحمن" و"الرحيم" ، قال ابن جرير : قيل: لأن من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مُخبَر عنه أن يقدِّموا اسمه، ثم يتبعوه صفاتِه ونعوتَه...وكانَ لله جلَّ ذكره أسماءٌ قد حرَّم على خلقه أن يتسمَّوا بها، خَصَّ بها نفسه دونهم، وذلك مثلُ "الله" و "الرحمن" و "الخالق"؛ وأسماءٌ أباحَ لهم أن يُسمِّيَ بعضهم بعضًا بها، وذلك: كالرحيم والسميع والبصير والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء - كان الواجب أن تقدَّم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه، ليعرف السامعُ ذلك مَنْ تَوجَّه إليه الحمد والتمجيدُ، ثم يُتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توجَّه إليه ما يتلو ذلك من المعاني .

فبدأ الله جل ذكره باسمه الذي هو "الله"؛ لأن الألوهية ليست لغيره جلّ ثناؤه من وجهٍ من الوجوه، لا من جهة التسمِّي به، ولا من جهة المعنى... ثم ثنَّى باسمه الذي هو الرحمن، إذ كان قد مَنع أيضًا خلقه التسمي به، وإن كان من خلْقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه. وذلك أنه قد يجوز وصْف كثير ممّن هو دون الله من خلقه، ببعض صفات الرحمة. وغير جائز أن يستحق بعضَ الألوهية أحد دونه. فلذلك جاء الرحمن ثانيًا لاسمه الذي هو "الله". وأما اسمه الذي هو"الرحيم" فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصْف غيره به... فهذا وجه تقديم اسم الله الذي هو "الله"على اسمه الذي هو"الرحمن" واسمه الذي هو "الرحمن" على اسمه الذي هو "الرحيم"(١٠١).

ثم اتبع الأوصاف المتقدمة بقوله:(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، ولم يكن ذلك لمجرد سرد صفات من صفاته تعالى ؛بل هو مما أثارته الأوصاف المتقدمة،فإنه لما وصف تعالى بأنه رب العالمين، الرحمن الرحيم ، وعلم الله خلقه سعة رحمته

ليقبلوا ، ومن عظيم رحمته ما أنزله لعباده من تشريع يحمل الأمر والنهي المخالف لهوى النفوس " خيف أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة في فاتحة الكتاب مخففاً عن المكلفين عِبءَ العصيان لما أمروا به ومثيراً لأطماعهم في العفو عن استخفافهم بذلك وأن يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكَّدة فلا يخشوا غائلة الإعراض عن التكاليف، لذلك كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحُكم في يوم الجزاء:﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (غافر:١٧) لأن الجزاء على الفعل سبب في الامتثال والاجتناب لحفظ مصالح العالم ، وأحيط ذلك بالوعد والوعيد"[١٠٢] جمعاً بين الترغيب والترهيب في تربيتهم"وجعل مِصداقُ ذلك الجزاء يوم القيامة ، ولذلك اختير هنا وصف ملك أو مالك مضافاً إلى يوم الدين .فأما ملك فهو مؤذن بإقامة العدل وعدم الهوادة فيه لأن شأن الملك أن يدبر صلاح الرعية ويذب عنهم ، ولذلك أقام الناس الملوك عليهم . ولو قيل (رب يوم الدين) لكان فيه مطمع للمفسدين يجدون من شأن الرب رحمة وصفحاً ، وأما مالك فمثل تلك في إشعاره بإقامة الجزاء على أوفق كيفياته بالأفعال المجزى عليها "[١٠٣].

ولما كان قوله تعالى : (رب العالمين) تدل في ظاهرها الأولي على بداية الخلق وتكوينه وتربيته، فإن (مالك يوم الدين) تدل على نهاية الخلق والفصل بينهم وجزائهم، فهي تبين كمال ملكه للدنيا والآخرة ملك لا ينتهي بمكان ، ولا ينقضي في زمان، تكميلاً لصفات العظمة والجلال والإكرام ، " إيماء بأن موصوفها حقيق بالحمد الكامل الذي أعربت عنه جملة (الحمد لله) لأن تقييد مُفاد الكلام بأوصاف مُتَعَلِّق ذلك المفاد يُشعر بمناسبة بين تلك الأوصاف وبين مُفاد الكلام مُناسبة تفهم من المقام مثل التعليل في مقام هذه الآية "[١٠٤]

وفي قوله : {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} دلالة على إثبات المعاد والحشر والحساب ، ولما اتصف تعالى بالرحمة انبسط العبد وغلب عليه الرجاء ، فنبه بصفة الملك أو المالك ليكون من عمله على وجل ، وأن لعمله يوماً تظهر له فيه ثمرته من خير وشر " [١٠٥] .

ولما كان داعي العبادة التعظيم والإجلال وهو إما عن محبة أو عن خوف مجرد، وأهمه ما كان عن محبة لأنه يرضي نفس فاعله غلبت هنا الصفات التي تدعوا إلى محبته في قوله(رب العالمين الرحمن الرحيم)(١٠٦) .

وإذا أتم الحامِدُ حَمْد ربه من خلال تلك الصفات العظيمة التي تجلت فيها أوصاف كماله وغناه ، وظهر للعيان عظيم سلطانه بصورة لا تبقي في قلب عاقل التوجه لغيره جاء الحديث بعد ذلك عن إخلاص العبودية له والاستعانة به،لأن سعادة الدنيا والآخرة مرتهنة بعبودية الله والاستعانة به ، " انتقالاً من الإفصاح عن حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على عبده من إفراده بالعبادة والاستعانة ، فجاء قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ومُفَاتَحَة العظماء بالتمجيد عند التوجه إليهم قَبْلَ أن يخاطَبوا طريقة عربية "(١٠٧) .

ولما كانت سورة الفاتحة مشتملة على ثلاثة لله،وثلاثة للعبد،قوله{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}في بيان الذي هو بين الله وبين عبده ،"يَعْنِي:مِنْ الْعَبْدِ الْعِبَادَةَ ، وَمِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعَوْنَ(١٠٨)،"وعدل عن الغيبة إلى الخطاب لقصد الالتفات لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا له كما تقرر في علم المعاني "(١٠٩) .

ووجه تقديم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى :{ إياك نعبد وإياك نستعين} لأن العبادة تقرُّب للخالق تعالى فهي أجدر بالتقديم في المناجاة اهتماماً بتقديم حق الله تعالى على حق عبده ، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه فناسب أن يقدِّم المناجي ما لله تأدباً مع الله ، وأُخرت الاستعانة لتناسب ما للعبد ، وقيل قدمت العبادة لأنها من عزم العبد وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك ، لأن لفظ العبادة يشعر بأن العبد يطلب من الرب الإعانة على شيء له فيه كسب ليعينه على القيام به ، ويذكره من جهة أخرى بضعفه لكيلا يغتر فيتوهم أنه مستغن بكسبه عن عناية ربه ، فيكون من الهالكين في عاقبة أمره " ، وقيل : قدمت العبادة من باب تقديم العام على الخاص ، فإن الاستعانة نوع تعبد ، فكأنه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ، ومما لا تتم العبادة إلا به ،

فإن العبد إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأمر واجتناب النهي، فهم لا يستقلون بإقامة العبادات؛ بل إن عون الله هو الذي ييسر لهم أداءهم . وقيل قدمت العبادة لأن الثانية ثمرة للأولى ، ولأن العبادة غاية والاستعانة وسيلة إليها والغاية أولى من الوسيلة ؛ وقيل " لما كانت الاستعانات التي وقعت بغير الله من أهم الأسباب الصارفة عن عبودية الله جاء الحديث هنا عن الاستعانة بالله لتكميل عبوديته " ، وقيل : لأن العبادة أنسب للجزاء ويوم الدين الذي سبقها ، والاستعانة أنسب لطلب الهداية الذي ورد بعدها ، وقد حصل من ذلك التقديم أيضاً إيفاء حق فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب في مخرج اللسان "[١١٠].

" وفي تكرير الضمير إياك (في الاستعانة دون أن يعطف فعل) نستعين (على) نعبد ، التنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة منها،ولإبراز التلذذ بالمناجاة والخطاب "..."وضميرا (نعبد ونَستعين) يعودَان إلى تالي السورة ذاكراً معه جماعة المؤمنين . وفي العدول عن ضمير الواحد إلى الإتيان بضمير المتكلم المشارَك الدلالة على أن هذه المحامد صادرة من جماعات ، ففيه إغاظة للمشركين إذ يعلمون أن المسلمين صاروا في عِزة ومَنَعة ، ولأنه أبلغ في الثناء من أعبد وأستعين لئلا تخلو المناجاة عن ثناء أيضاً بأن المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله ... فكَأَنَّ الحامد لما انتقل من الحمد إلى المناجاة لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء إلا انتهزها "[١١١] .

ولما كانت العبادة تحتاج إلى إخلاص واستعانة وهداية علمية وعملية على الشرع القويم جاء الحديث عن الصراط المستقيم ؛ وذلك " لأنه لابد في العبادة من إخلاص؛ يدل عليه قوله تعالى: {إياك نعبد}؛ ومن استعانةٍ يتقوى بها على العبادة ؛ يدل عليه قوله تعالى: { وإياك نستعين }؛ ومن إتباع للشريعة؛ يدل عليه قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} لأن {الصراط المستقيم} هو الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ [١١٢] .

ولما كانت الآية السابقة في تأكيد الاستعانة قولاً جاء تحققها فعلاً في قوله اهدنا ، وإذا كانت إياك نستعين لما مضى وحضر فهذه في "مسألة العبد ربَّه التوفيقَ لأداء ما كُلِّف من فرائضه، فيما يَستقبل من عُمُره"(١١٣) .

وفـي ذكـر التفـصيل بعـد الإجمـال فـي قولـه تعـالى:{اهـدنا الـصراط المستقيم}هذا مجمل؛ و(صراط الذين أنعمت عليهم) هذا مفصل؛ لأن الإجمال ثـم التفـصيل فيـه فائـدة: فإن الـنفس إذا جاء المجمـل تترقـب، وتتـشوف للتفـصيل والبيان؛ فإذا جاء التفصيل ورد على نفس مستعدة لقبوله متشوفة إليه .

وفـي قولـه تعـالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ جاءت شاملة لبيان أقسام الناس من الحق ، فإنهم ينقسمون إلى ثلاثـة أقـسام: قـسم أنعـم الله علـيهم؛ وقـسم مغـضوب علـيهم ؛ وقـسم ضـالون ، وأسباب الخروج عن الصراط المستقيم : إما الجهل ؛ أو العناد ؛ والذين سببُ خروجهم العناد هم المغضوب عليهم . وعلى رأسهم اليهود ؛ والآخرون الذين سبب خروجهم الجهل كل من لا يعلم الحق .

وقدم المغضوب عليهم على الضالين لوجوه ذكرها العلماء منها : أنهم متقدمون عليهم بالزمان ، ولأنهم كانوا هم الذين يلون النبي ﷺ من أهل الكتابين فإنهم كانوا جيرانه في المدينة ، والنصارى كانت ديارهم نائية عنه ، ولأن اليهود أغلظ كفراً من النصارى ، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة فإن كفرهم عن عناد وبغي كما تقدم فالتحذير من سبيلهم والبعد منها أحق وأهم بالتقديم وليس عقوبة من جهل كعقوبة من علم ؛ ولأن المخالف عن علم يصعب رجوعه . بخلاف المخالف عن جهل ، ولأنه تقدم ذكر المنعم عليهم والغضب ضد الإنعام والسورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله ، فذكر المغضوب عليهم مع المنعم عليهم فيه من الازدواج والمقابلة ما ليس في تقديم الضالين ، فقولك : الناس منعم عليه ومغضوب عليه ، فكن من المنعم عليهم ، أحسن من قولك:منعم عليه وضال"(١١٤) .

"وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام ، وغير المغضوب عليهم بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال ، أو صفة له على معنى أنهم جمعوا بين النعمتين نعمة الإيمان والسلامة من ذلك ، وصح جعله صفة للمعرفة مع كون "غير" لا تتعرف بالإضافة إلى المعارف لما فيها من الإبهام لأنها هنا غير مبهمة لاشتهار المغايرة بين الجنسين "[١١٥] .

المبحث الرابع

الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة

المطلب الأول : الموضوع الرئيس في السورة :

لما كان لكل سورة من القرآن الكريم مهما كان لها من العظمة كسورة الفاتحة التي هي أم القرآن وأساسه ، أو من الطوال كسورة البقرة موضوعاً أساساً تدور حوله آياتها ومحاورها ، وكان تحديد ذلك لا يظهر للمفسر إلا بعد جهد ونظر ، وقد كان هدفنا من هذه الدراسة أبراز الوحدة الموضوعية للسورة فبعد التأمل والنظر في آيات السورة وكلماتها، بل حتى في أسمائها وفضائلها تبين للباحث أن موضوع السورة الرئيس هو : "تحقيق العبودية الخالصة لله ﷻ " التي من أجلها خلق الله الخلق ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات:٥٦)،ومن أجلها أرسل الله الرسل، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(النحل:٣٦) ، ومن أجلها أنزل الكتب ، قال تعالى:﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (هود: ١ – ٢) ، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، قال ابن رجب الحنبلي (ت : ٧٩٥) : "إنَّ الله سبحانه وتعالى إنَّما أرسَل الرُّسَلَ وأنزلَ الكتبَ لدُعائِه الخلق إلى مَعرفتِه وتوحيدِه، وعبادتِه ومَحبتِه والقُربِ منهُ والإنابةِ إليه؛ هذا هو مقصُود الرِّسالة ولبُّها وقُطبُ رحاها الذي تدور عليه، وما ورَاءَ ذلك فإنَّها مُكملاتٌ ومُتمماتٌ ولواحقٌ ؛

فكلُّ أحدٍ مفْتقِرٌ إلى معرفة ذلك عِلْمًا، والإتيانِ بهِ عملاً، فلا سَعَادةَ للعَبدِ ولا فلاحَ ولا نجاةَ بدون هذين المقصَدين"[١١٦] ، ولما كان جماع أمر الدين في معرفة الله جل وعلا وتحقيق العبودية الخالصة له على نهج النبوة الراشد ، كان من المناسب أن يكون موضوع سورة الفاتحة الرئيس في ذلك المعنى ، وهو الموضوع البارز من خلال آيات السورة ،بل هو الموضوع الرئيس في القرآن الكريم . وقد جاء مأثوراً عن الحسن البصري قال : "إن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع علمها في الأربعة، وجمع علم الأربعة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصَّل، وجمع علم المفصل في أم القرآن، وجمع علم أم القرآن في هاتين الكلمتين الجامعتين:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}(الفاتحة:٥) "[١١٧]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:" هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن (إياك نعبد وإياك نستعين) ...وإن علم الكتب المنزلة من السماء اجتمع في هاتين الكلمتين الجامعتين"[١١٨] ، وقال ابن القيم:" علم القرآن جمع في المفصَّل ، وعلم المُفصَّل جمع في الفاتحة، وعلم الفاتحة جمع في:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} "[١١٩]، فهي عمود سورة الفاتحة ، وجماع المعنى الذي أراده الله تعالى وأنزل الكتب من أجله وعليه مدار جميع القرآن الكريم ، قال ابن القيم كذلك في مدارج السالكين : " إن سر الخلق والأمر، والكتب والشرائع، والثواب والعقاب، ينتهي إلى الكلمتين اللتين تضمنتهما هذه الآية:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}"[١٢٠]، فهذه الآية العظيمة هي الآية الوسطى في الفاتحة ، وهي التي بين العبد وربه ، سماها بعض العلماء سر القرآن ، وصنف فيها العلماء المصنفات، فألف شيخ الإسلام الهروي (ت: ٤٨٠هـ) "منازل السائرين" ثم شرحها ابن القيم في كتابه القيم"مدارج السالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين" ، وهي جامعة لمعاني القرآن الكريم في العقيدة والعبادة والأخلاق ، ومرجع الدين ومدار التوحيد والعبودية قائم عليها ، ولهذا قال الفيروز ابادي " فمَنْ علِم تفسيرها كان كمن علم تفسير كُتُب الله المنزَّلة. ومَنْ قرأها فكأنَّما قرأ التَّوراة،والإنجيل، والزَّبور، والفُرقان "[١٢١] .

ولو أن الأمة حققت هذه الآية { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }(الفاتحة : ٥) التي يكثرون من تلاوتها واعتصموا بها بحيث لا يعبدون غيره ولا يستعينون بأحد

سواه، مع التزام الصراط المستقيم في تحقيق عبوديته لفهموا الأصل الذي به تكون سعادتهم في الدنيا والآخرة ، والذي جاءت آيات الكتاب لبيانه دون غيره ، وعليهما مدار العبودية والدين ، وهي موضع القسمة في السورة بين العبد وربه ولهذا جاء في الحديث :وإذا قال العبد:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }قال : فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل) .

"فقد ثبت بهذا النص أن هذه السورة منقسمة بين الله وبين عبده،وأن هاتين الكلمتين مقتسم السورة ، فـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} مع ما قبله لله،و{ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } مع ما بعده للعبد وله ما سأل؛ولهذا قال من قال من السلف:نصفها ثناء ونصفها مسألة،وكل واحد من العبادة والاستعانة دعاء "[١٢٢] .

المطلب الثاني : المحاور الفرعية في سورة الفاتحة

المفاتيح الأساسية لفهم السورة القرآنية معرفة موضوعها الرئيس ومحاورها الفرعية،وقد تضمنت سورة الفاتحة جميع علوم القرآن ومقاصده ومعانيه بدلالة المطابقة أو التضمن أو الالتزام ، واحتوت على ما لم تحتو عليه سورة أخرى من سور القرآن ، قال ابن عاشور :" وهذه السورة وضعت في أول السُّوَر لأنها تنزل منها منزل ديباجة الخطبة أو الكتابِ، مع ما تضمنته من أصول مقاصد القرآن"[١٢٣] ، وقال الرازي : " إن هذه السورة مسماة بأم القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه"[١٢٤] ، ولما كانت مشتملة على مقاصد الكتاب سميت بأم الكتاب ، وأم القرآن ، والقرآن العظيم ، وقد تكلم العلماء عن محاور كثيرة لهذه السورة ، ورغم تعدد أقوال أهل العلم فيما اشتملت عليه هذه السورة من علوم ومقاصد وحِكَم ومحاور فقد اجتمعت كلمتهم على شمول هذه السورة لكل ما جاء في القرآن ، وبعد النظر والتأمل في كل ما ذكر رأيتُ أنَّه يمكن إجمال موضوعات هذه السورة العظيمة في ثلاثة محاور جاء القرآن الكريم لبيانها وتحقيقها وهي :

المحور الأول : التعريف بالمعبود الحق ﷻ :

المحور الأول لسورة الفاتحة التعريف بالله ﷻ ؛ وذلك من خلال الحمد لله الذي يقتضي أنّه موجودٌ ، وذلك لأنَّ المجهول لا يُتَوَجَّه إليه بشيء ، ولا يُقصد بثناء ولا عبادة ولا بغيرهما . وهو مستحقّ للحمد لما له من صفات الكمال ولتنزهه عن جميع صفات النقص ، " ولا يكون مستحقاً للحمد إلا إذا كان قادراً على كل الممكنات عالماً بكل المعلومات "متصرفاً في كل المخلوقات ، ولذا قال بعدها أنه ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة : ٢ – ٤) ، فـ (رب العالمين) تدل على أعظم صفات الله بعد الدلالة على وجوده من ذلك : الوحدانية والخلق والقدرة والعلم والحكمة والغنى والكبرياء والعزة والعلو ، والقهر ، المتصرِّف في الأكوان وسائر المخلوقات، والمالك للحساب والجزاء في يوم لا ينفع المرء فيه إلا عمله ، والرحمن الرحيم تشير إلى رأفته ولطفه وبره وسعة جوده وإحسانه ، ومالك يوم الدين تدل على كمال حكمته ورحمته بسبب خلق الدار الآخرة ، فهي " مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله ... وصفات العدل والقبض والبسط والخفض والرفع والعطاء والمنع والإعزاز والإذلال والقهر والحكم ونحوها أخص باسم الملك "(١٢٥) .

فهي تعرف بالخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله ، كما تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة الذي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم:توحيد الربوبية يؤخذ من قوله:{رَبِّ الْعَالَمِينَ}. وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، مع الاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها بدون إعانته ، يؤخذ من لفظ : {اللَّهِ } ومن قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإياك نستعين} ، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ {الْحَمْدُ} الذي هو الثناء على الله ﷻ بأوصاف كماله وجلاله وتنزيهه عن جميع النقائص ، " فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه والخضوع له فلا يكون حامدا

من جحد صفات المحمود ولا من أعرض عن محبته والخضوع له ، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل ، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها ؛ ولهذا كان الحمد لله حمدا لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها ؛ ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه"(١٢٦) .إضافة لما ذكر من أسمائه "الله، والرب ، والرحمن ، والرحيم ، والمالك والملك"وهي متضمنة لصفة الإلهية، والربوبية ، والرحمة ، والملك " ، وعلى هذه الأربع مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ، ومدارها عليها"(١٢٧)،فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته ، والثناء والمجد كمالان لجده"(١٢٨) .

وهو متضمن الإيمان بالملائكة والنبوات والكتب ؛ لأنها الوسائط بين المعبود والعباد ، فالملائكة والأنبياء هم صَفوةُ العالمين الذين ربهم الله ، وقمة المنعم عليهم في قوله (الذين أنعمت عليهم) ، وكونه إلهاً فإن ذلك مستلزم كونه معبوداً مطاعاً ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع إلا من جهة رسله وكتبه و" كونه رب العالمين فلا يليق به أن يترك عباده سدى هملاً لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيهما فهذا هضم للربوبية ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به وما قدره حق قدره من نسبه إليه ، كما لا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله ، وكذلك فإن رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم فمن أعطى اسم الرحمن حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب ، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح ؛ لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب ، وأدرك منه أولو الألباب أمراً وراء ذلك ، وكذلك ذكر يوم الدين فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات ويعاقبهم على المعاصي والسيئات ، وما كان الله ليعذب أحدا قبل إقامة الحجة عليه ، والحجة إنما قامت برسله وكتبه ، وبهم استحق الثواب والعقاب ، وبهم قام سوق يوم الدين وسيق الأبرار إلى النعيم والفجار إلى الجحيم..."(١٢٩) ، والإيمان

بالقرآن كذلك متضمن في قوله تعالى : "الصراط المستقيم" وهو القرآنُ في أحدِ الأقوالِ، وسؤالُ الهدايةِ يستلزمُ الإيمانَ بهِ ، إذ لا يؤمن بشيء لا يَسأل الهداية إليه، والإيمان به يستلزم الإيمان بجميع كتب الله ﷻ ؛لأنه موافق مصدِّقٌ لها آمرٌ بالإيمان بها ، كما هو متضمن للإيمان بالنبي ﷺ لأن الهداية إلى الصراط المستقيم بدونه ممتنع .

كما هي متضمنة الإيمانُ بالقدرِ : ففي قوله ﷻ : (إياك نعبد وإياك نستعين) قوله "نعبد" رد على الجبرية الذين ينفون إرادة العبد ومشيئته ، ففاعل العبادة ومختارها هنا هو العبد "وإياك نستعين" رد على القدرية الذين يرون أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه بدون إرادة الله ، لأن استعانة العبد تدل على أن مشيئة العبد غير نافذة إلا بإذن الله وتوفيقه،والإعانةُ على عبادتِهِ مِنهُ، والاستعانةُ بهِ والهدايةُ إليه،وأن الكل بقضاء الله وقدره(١٣٠) .

المحور الثاني : التعريفُ بكيفية عبادةِ الله :

المحور الثاني في هذه السورة التعريف بطريق العبودية ؛ وذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، فهي ترسم طريق العبودية الذي يقوم على إخلاص العبادة لله ، والاستعانة به في عبوديته وسائر الأحوال ، والاستقامة على نهجه القويم .

والعبادة المقبولة تحتاج إلى إخلاص للمعبود، واستقامة في العبادة كما قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف:١١٠) ، فـ "إياك نعبد " تجعل كل حركات العباد لله خالصة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣) ، وهي تحقيق معنى لا إله إلا الله؛ لأن معناها مركب من أمرين : نفي وإثبات. فالنفي: خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع .

وقد أشار إلى النفي من لا إله إلا الله بتقديم المعمول الذي هو {إِيَّاكَ} وقد تقرر في الأصول في مبحث دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة ، وفي المعاني في مبحث القصر: أن تقديم المعمول من صيغ الحصر.وأشار إلى الإثبات منها بقوله:{نَعْبُدُ}"[١٣١] ، والاستقامة في قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ " تضمن جميع شرائع الدين من عباداتٍ والتي على رأسها الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها،ومعاملات من نكاح وطلاق وبيع وشراء وغيره،وأخلاق، وعقيدة وأحكام،وأوامر ونواهي؛ لأن الاستقامة على الصراط المستقيم "متضمن معرفة الحق ، ومحبته ، وإيثاره وتقديمه على غيره ، والانقياد له ، والدعوة إليه ، وجهاد أعدائه بحسب الإمكان والحق هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وما جاء به علما وعملا... وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال فما ثم خروج عن هذه الطرق الثلاث" [١٣٢]،وكذلك التصريح بلفظِ التَّعبُّدِ"نعبد"الذي يفيد التَّكليفِ الموجِبِ لوجودِ الأحكامِ على المكلّفينَ .

والعبد الموفق في عبوديته يحتاج استعانة بالله كما قال تعالى حاكياً عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:٨٨) ، ف"إياك نستعين" هي تذكر العبد بحاجته إلى الله في كل سكناته: "فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنه معبوده الذي يحبه حب إجلال وتعظيم ، فهو غاية مطلوبه ومراده ومنتهى همته، ولا صلاح له إلا بهذا...والإنسان فقير إلى الله من جهة عبادته له، ومن جهة استعانته به"[١٣٣] ، وهو "كما أنه فقير إلى الله دائماً - في إعانته وإجابة دعوته وإعطاء سؤاله وقضاء حوائجه - فهو فقير إليه في أن يعلم ما يصلحه وما هو الذي يقصده ويريده، وهذا هو الأمر والنهي والشريعة "[١٣٤] وأنه لا يمكنه الإتيان حتى بعبادته إلا بإعانة الله .

فمن عرف أن العبادات ينبغي أن تكون خالصة لله وفق صراطه المستقيم ، مع الاستعانة به للتوفيق في عبوديته عرف أسس العبودية التي بها يكون القبول والتوفيق ، لأن الدين في أساسه عبودية صالحة خالصة لله، وتوكل كامل على الله، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ ﴾ (هود:١٢٣) فالإخلاص في عبوديته

أعظم أسباب القبول، والاستعانة بالله أعظم أسباب التوفيق ، والهداية إلى صراطه المستقيم هي نور الطريق .

المحور الثالث : بيان مآل من عبد الله ومن أعرض أو انحرف عن عبادته :

ولما كانت النفوس تتطلع للنتائج والمآلات جاء الحديث عن اليومِ الآخرِ وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها ، وتفرد الرب تعالى الحكم العدل بالحكم في ذلك اليوم بين الخلائق ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: (مالك يوم الدين) وهو يوم الجزاء الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيرا وشرا ، وهذا لا يكون إلا بعد ثبوت الرسالة والنبوة ،وقيام الحجة التي بسببها يدان المطيع والعاصي ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥) ، والجزاءُ مستلزِم للتَّكليفِ بأحكامِ الأفعالِ الْمُجازَى عليهِ مِن إيجابٍ وحَظرٍ وكراهَةٍ ونَدبٍ ، ويدخل في ضمن هذا بيان حقيقة الدنيا التي ليست دار قرار ، والموت وما يليه، ويوم القيامة وما يحويه،والمنزل الذي يستقر فيه كل فريق ، ويدخل في هذا الجنس الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، لأنَّ صفة الإنعام تقتضي ترتب الوعد وصِفَتَي الغَضَبِ والضَّلالِ تَقتَضِيانِ تَرَتُّبَ الوَعيدِ عليهما، ومنه الإخبار عن الناجين والهالكين وأحوالهم وما أدى إليه حاصل أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وهذا يشمل كل قصص القرآن الكريم .

ولما كان موقف الناس من معرفة الحق والعمل به مختلفاً قسمهم الله في هذه السورة إلى ثلاثة أقسام ، لا يخرج منها أحد البتة " لأن العبد إما أن يكون عالما بالحق أو جاهلا به ، والعالم بالحق إما أن يكون عاملا بموجبه أو مخالفا له، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة ، فالعالم بالحق العامل به هو المنعم عليه ، وهو الذي زكى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو المفلح ، قد أفلح من زكاها ، والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه ، والجاهل بالحق هو الضال والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل فكل منهما ضال مغضوب عليه ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به"(١٣٥) ، وقد جاء تفاصيل هذه الأقسام

وقصصهم وأخبارهم في سور وآيات عديدة في كتاب الله قاربت الثلث ، فإن كل من مضى من البشرية وأخبر الله عنهم في كتابه فهم إما أن يكونوا : مُنعَماً عليهم وهم المهتدون ، هم من علموا الحق وعملوا به فأنعم عليه بالهداية التامة علماً بالصراط المستقيم وعملاً به ، أو مغضوباً عليهم وهم من عرفوا الحق ثم لم ينقادوا له وجحدوه فغضب الله عليهم وهم اليهود ومن شاكلهم ، أو ضالين وهم من ضلوا في معبودهم أو عبادتهم ، أو هم الذين عملوا بلا علم وعبدوا الله على جهل وهم النصارى ومن شاكلهم ، وهذا يشمل كل قصص القرآن الكريم وأخبارِ الأوّلينَ والآخرين .

فهذه المحاور الثلاثة لسورة الفاتحة تتضمن مقاصد القرآن الأساسية ، وغيرُها تكملات لها؛ وبمعرفة هذه المقاصد الثلاثة تعرف المقاصد العليا للقرآن الكريم ، ويسهل فهم آياته ، ويتحقق صلاح الفرد والجماعة الذي لا يمكن تحققه إلا وفق معرفة المعبود الحق ﷻ، وطريق عبوديته ، وعاقبة من عبده ومن عصاه ، ومن خلال ذلك يحصل تهذيب السلوك الظاهرة والباطنة ، ويعم العدل والصلاح في الفرد والجماعة .

المطلب الثالث:العلاقة بين الموضوع الرئيس والمحاور الفرعية

للوصول للوحدة الموضوعية في السورة قمت بتدبر آياتها كل آية على حدة ، ثم كشفت عن وجه التناسب بينها وكذلك بين كلماتها ، ثم قمت بتحديد الموضوع الرئيس في السورة ، ثم بتحديد الموضوعات الفرعية ، ثم بينت في هذا المطلب أوجه الترابط بين موضوعات السورة للوصول للوحدة الموضوعية لهذه السورة العظيمة بحيث تلتقي الموضوعات الفرعية مع الموضوع الرئيس ممثلة لحمة واحدة للسورة .

وإذا كان موضوع السورة الرئيس هو تحقيق العبودية الخالصة لله فمن المناسب أن تكون محاور السورة في بيان صفات المعبود بحق ﷻ ، وفي بيان طريق عبوديته ، وفي بيان عاقبة من عبده ومن عصاه في الدنيا والآخرة حيث الإنعام والغضب .

ولما كانت أركان العبودية تقوم على ثلاثة أمور وهي المحبة والخوف والرجاء جاء ترتيب آيات سورة الفاتحة " مرتبطاً بأركان التعبد القلبية التي لا قبول لأي عبادة إلا بها وهي المحبة والخوف والرجاء ، فكل من عبد الله فقد بنى عبوديته على محبته لله وخوفه منه ورجاؤه فيه ، فالمحبة تنبع من قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وذلك من خلال فهم العبد لكمال صفاته ، وتمام نعمته على عباده ، ومن أعظم ذلك خلقهم وهدايتهم لنيل رضوانه ، والكامل يحب على قدر كمال صفته،والمُنعم يُحَبُّ على قدر إنعامه ، والرجاء في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فمن أدرك سعة رحمته لم يقطع رجاءه عن ربه وكان دائماً حسن الظن بخالقه ، والخوف في قوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ إذ هو المتصرف وحده في يوم الجزاء،وهذه الأمور الثلاث: المحبة والرجاء لثوابه والخوف من عقابه هي أركان العبادة الصحيحة التي لا يجوز أن يعبد الله بواحد منها دون غيرها "(١٣٦).

ولما كانت العبودية قائمة على بيان ومعرفة كمال المعبود الخالق وعزته وكبريائه وغناه ، ونقص العابد المخلوق وضعفه وفقره إلى معبوده وحاجته المطلقة لخالقه ، جاءت سورة الفاتحة محتوية على ذلك " فقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ جمعت عز الربوبية ، وأنه هو الإله المستولي على كل أحوال الدنيا والآخرة ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ يدل على ذل العبودية ، فإنه يدل على أن العبد لا يتم له شيء من الأعمال الظاهرة ولا من المكاشفات الباطنة إلا بإعانة الله تعالى وهدايته"(١٣٧) . فعلم العبد بصفات ربه هي من أعظم الطرق لحسن عبوديته وكمال الافتقار إليه والذل والخضوع بين يديه ، فمن عرف ربه بكمال غناه عرف نفسه بكمال فقره ، ومن عرف ربه بكمال قدرته ، عرف نفسه بكمال عجزه ، ومن عرف ربه بتمام عزته عرف نفسه بكمال مسكنته ، ومن عرف ربه بكمال علمه عرف نفسه بكمال جهله، ومن عرف قرب ربه عرف بعد غيره عنه،ومن عرف كمال ملكه عرف ضعف ملك غيره،وهكذا .

ولما كانت خلاصة العبودية تخليص جميع الأمور لله فقد جعلت هذه السورة الحمد كله لله فجميع المحامد مختصة به ، وهو المحمود في كل حال،والربوبية الكاملة لله فلا يخرج شيء عنها ، والرحمة الشاملة لله فوسع كل شيء برحمته ، والملك الكامل لله فهو مالك الدنيا والآخرة ، والعبودية الخالصة لله فلا يشرك معه أحد ، والاستعانة الكاملة بالله،فهو الذي لا يستغني عنه مخلوق في الأرض ولا في السماء ولا بينهما ، والهداية التامة من الله علماً وعملاً ، فهو الذي بيديه الخلق والأمر وإليه المعاد والمنقلب .

ولما كانت العبودية لا تكون إلا باعتقاد وقول وفعل جاءت سورة الفاتحة مشتملة على ذلك فالاعتقاد بالجنان والثناء على الله باللسان بارز في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، والانقياد الكامل له بالجوارح والأركان طاعة واستسلاما من خلال قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ اشتغال بالخدمة والعبودية،"إلا أن الابتداء وقع بقوله:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وهو إشارة إلى الجد والاجتهاد في العبودية ، ثم قال : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وهو إشارة إلى اعتراف العبد بالعجز والذلة والمسكنة والرجوع إلى الله "(١٣٨) .

ولما كانت العبودية الحقة قائمة على أخبار تتطلب الإيمان والتصديق ، وأحكام تتطلب الانقياد والتسليم، جاءت سورة الفاتحة مشتملة على ذلك : " وهي سورة أولها لله وآخرها للعبد ووسطها مشترك بينهما كما جاء في الحديث القدسي ، كما هي سورة أولها رحمة ، ووسطها هداية، وآخرها نعمة ، وهو ترتيب مبني بعضه على بعض ،فمن رحمه الله هداه ، ومن هداه فقد أنعم عليه "(١٣٩) . " وهذه السورة لشدة وحدتها الموضوعية قال العلماء لا تقبل التنصيف ...قال الثعلبي (ت :٤٢٧) وهو يبين سبب تسميتها بالوافية : " وتفسيرها أنها لا تقبل التنصيف ، ألا ترى أن كل سورة من القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الثاني في ركعة أخرى لجاز ، وهذا التنصيف غير جائز في هذه السورة "(١٤٠) .

وبهذا يظهر لنا الترابط الدقيق بين محاور السورة ، وموضوعها الرئيس ، وقد جمعت سورة الفاتحة من خلال محورها الرئيس ومحاورها الفرعية مقاصد

القرآن الكبرى التي هي تعريف الخلق بخالقهم ، وبيان طريق عبوديته،ثم بيان عاقبة من عبده ومن تمرد عن عبوديته ، فهي متعانقة في موضوعاتها، وآياتها وكلماتها،بل متعانقة مع جميع سور القرآن الكريم؛وذلك لأنها مشتملة على مقاصدِ القرآن الكُلِّيَّةِ من حيث الإجمال،ثم جاء باقي القُرآن يُبَيّن ذلك في رُتبَةٍ ثانيةٍ منَ البيانِ.

المبحث الخامس
تأملات في سورة الفاتحة وفق وحدتها الموضوعية

هذه السورة تحمل الكثير من الفوائد والأحكام ، والحِكم والأسرار ، ولكن سوف اكتفي هنا ببعض الحكم والأسرار التي ترتبط بالمعاني الكلية في السورة وفق وحدتها الموضوعية :

الوقفة الأولى : مع أسماء الفاتحة وصفاتها : أسماء سورة الفاتحة وصفاتها متناسقة مع مضمونها،تستحق أن تسمى"فاتحة الكتاب"لأنها عنوان الكتاب المجيد ومدخله للتلاوة والفهم ، كما سميت" أم القرآن ، وأم الكتاب ، والقرآن العظيم " ؛ لأن معانيه راجعة إليها ، وهي سورة الحمد لأنها تثبت الحمد الكامل لله بأجمع أسمائه وصفاته ، وهي سورة الصلاة لأنها ركنها الأعظم ، وهي شافية كافية واقية ، وهي أساس لما سواها إلى غير ذلك من أسماء وصفات ، يقول الإمام البقاعي : " إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه بعنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه ، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة والسلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها، ولا يخرج عن معاني كلماتها، فالفاتحة أسمها"أم الكتاب" و"الأساس" و"المثاني" و"الكنز" و"الشافية" و"الكافية" و"الوافية" و"الواقية" و"الرقية" و"الحمد" و"الشكر" و"الدعاء" و"الصلاة" فمدار هذه

الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد ، وهو المراقبة التي سأقول إنها مقصودها، فكل شيء لا يفتتح بها لا اعتداد به، وهي كنز لكل شيء ، شافية لكل داء ، كافية لكل هم ، وافية بكل مرام ، واقية من كل سوء ، رقية لكل ملم ، وهي إثبات للحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال ، وللشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء فإنه التوجه إلى المدعو ، وأعظم مجامعها الصلاة "[١٤١]، فهي قد جمعت من خلال أسمائها وصفاتها التي ذكرها علماء السلف كل ما تضمنته من علم وعمل.

الوقفة الثانية : مع فضائل سورة الفاتحة : من خلال التأمل في فضائل سورة الفاتحة تبين للباحث عظم ثواب قراءتها وتعلمها، لأنها متضمنة لمعاني جميع القرآن الكريم وأسراره ، وإذا كان خير الناس فضلاً وأجراً من يتعلم القرآن، فإن أفضل ما يتعلمه العبد من القرآن سورة الفاتحة ، وهي أعظم ما يحفظ من القرآن الكريم ، بل لعظمتها وجلالها "أوجبها الله على جميع المكلفين في كل ركعة من صلاتهم فرضاً ونفلاً"[١٤٢]، وهي أعظم سورة يرقى بها المريض ، ولهذا فيها من أسرار التداوي والشفاء ما ليس لغيرها ، وهي السورة الوحيدة التي قسمها الله بينه وبين عبده ، وجعل مناجاته بها ؛ ولذا هي جديرة أن يمتن الله بها على رسوله ، وأن يبشر بنورها وفضلها بواسطة ملك خاص لم ينزل قبل ذلك إلى الأرض ، وأن يفتح لها باب خاص من السماء، فهي أعظم ما نزل من الوحي ، فهي عنوان الرسالة المحمدية وشرفها إذ ليس في الكتب المنزلة جميعاً مثلها ، وهذا من سعة رحمته وفضله على هذه الأمة إذ خصهم بما لم يؤت أحد من العالمين .

الوقفة الثالثة : مع ترتيب سورة الفاتحة وعدد آياتها : لما كانت الفاتحة متضمنة لمجمل ما جاء تفصيله في سور القرآن الكريم كان من المناسب تقديمها عليهم، كما أن " افتتاحها بحمد لله سبحانه وقد شرع في ابتداءات الأمور ، وأوضح الشرع فضل ذلك، وأخذ به كل خطيب ومتكلم "[١٤٣] وجه ثاني لتقديمها،

ومن روعة تقديم سورة الفاتحة أنَّ كل سور القرآن متسلسلة في معانيها وأهدافها ورسائلها، فهي مرتبطة بما قبلها بصورة دقيقة ، وتحمل في ارتباطها الكثير من الأسرار والحكم التي تكلم العلماء عن بعضها ، ولا يصح ترتيبها إلا بالسورة التي جاءت قبلها في المصحف إلا سورة الفاتحة، فلو جاءت قبل أية سورة لوجدت المعنى متصلاً بل متكاملاً أيضاً، بل متعانقاً معها ، لذلك فإننا نبدأ صلاتنا بالفاتحة ثم نقرأ أي سورة بعدها ويبقى المعنى متصلاً مهما كانت السورة .

ومن خلال التأمل في عدد آياتها وهي سبع آيات كما هو مجمع عليه ، وهو العدد المتميز في القرآن الكريم ، والمتناسق مع منظومة الكون والحياة لهو سر آخر من أسرار هذه السورة ، حيث جعل الله السموات سبعاً ، والأراضين سبعاً ، والأيام سبعاً ، والأحرف التي نزل عليها القرآن سبعة ، والسور الطوال سبعاً ، والطواف سبعاً ، والسعي سبعاً ، ورمي الجمار سبعاً ، ورؤية الملك التي أولها يوسف سبعاً ، وريح عاد التي سخرها عليهم سبع ليال ، فهذا العدد يحتاج إلى دراسة خاصة لمعرفة وجه آخر من أوجه إعجاز هذه السورة الرقمي .

الوقفة الرابعة:مع أسلوب سورة الفاتحة : تميزت سورة الفاتحة بجزالة أسلوبها ولطافته ، وذلك من خلال وجوه عديدة من ذلك :

أ ـ حسن الافتتاح وبراعة المطلع : فإن كان أولها بسم الله الرحمن الرحيم على قول من عدها منها،فباسم الله يبتدئ كل أمر،وإن كان أولها الحمد لله، فحمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، ووصفه بماله من الصفات العلية أحسن ما افتتح به الكلام ، وقدم بين يدي النثر والنظم .

ب ـ لطافة التكليف: في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي صيغته صيغة الخبر ، ومعناه الأمر ، فلم تفتتح السورة بصيغة الأمر بأن يقال : احمدوا الله ، وإنما افتتحت بصيغة الخبر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأن الأمر يقتضى التكليف؛ والتكليف قد تنفر منه النفوس أحيانًا، فأراد - سبحانه - وهو يبادئهم بشرعة جديدة وتكاليف لم يعهدوها ، أن يؤنس نفوسهم ، ويؤلف قلوبهم ، فساق لهم الخطاب بصيغة الخبر ، ترفقا بهم ، حتى يديموا الإصغاء لما سيلقيه عليهم من تكاليف [١٤٤] .

ج ـ الالتفات في الخطاب : ولأهل البلاغة عناية بالالتفات ؛ لأن فيه تجديد أسلوب التعْبير عن المعنى بعينه تحاشياً من تكرار الأسلوب الواحد عدة مرات فيحصل بتجديد الأسلوب تجديد نشاط السامع كي لا يمل من إعادة أسلوب بعينه ، والمراد هنا الالتفات من الغيبة إلى الحضور في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وردت على صيغة المخاطب بعد أن كان أول السورة بصيغة الغائب، وهو مع ما فيه من الفصاحة والبيان ليتضمن هذا الأسلوب توسل بالعبودية والتوحيد بعد التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العلى ، وهذان التوسلان لا يكاد يرد معهما دعاء ، وقال العلماء : وكأن العبد لما حمد ربه وأثنى عليه ومجَّده قربه وأدناه، ولذا تحول الخطاب من الغيبة إلى الحضور(١٤٥) .

د ـ التصريح بعد الإبهام : وذلك في بدل " صراط الذين" من "الصراط المستقيم" . قال ابن عاشور : "في قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾بدل أو عطف بيان من(الصراط المستقيم) ، وإنما جاء نظم الآية بأسلوب الإبدال أو البيان دون أن يقال: " اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم المستقيم" لفائدتين: الأولى: أن المقصود من الطلب ابتداءً هو كون المهدي إليه وسيلة للنجاة واضحة سمحة سهلة ، وأما كونها سبيل الذين أنعم الله عليهم فأمر زائد لبيان فضله . الفائدة الثانية : ما في أسلوب الإبدال من الإجمال المعقب بالتفصيل ليتمكن معنى الصراط للمطلوب فضل تمكن في نفوس المؤمنين الذين لقنوا هذا الدعاء فيكون له من الفائدة مثل ما للتوكيد المعنوي ، وأيضاً لما في هذا الأسلوب من تقرير حقيقة هذا الصراط وتحقيق مفهومه في نفوسهم فيحصل مفهومه مرتين ...ثم إن في اختيار وصف الصراط المستقيم بأنه صراط الذين أنعمتَ عليهم دون بقية أوصافه تمهيداً لبسط الإجابة ؛ فإن الكريم إذا قلت له: " أعطني كما أعطيتَ فلاناً " كان ذلك أَنْشَطَ لكرمه... مع ما في ذلك من التعريض بطلب أن يكونوا لاحقين في مرتبة الهدى بأولئك المنعم عليهم ، وتهمماً بالاقتداء بهم في الأخذ بالأسباب التي ارتقوا بها إلى تلك الدرجات ، قال تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ

لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(الممتحنة:٦)، وتوطئةً لما سيأتي بعد من التبرىء من أحوال المغضوب عليهم والضالين فتضمن ذلك تفاؤلاً وتعوذاً "[١٤٦] .

هـ/ الجمع بين الترغيب والترهيب:ولما كان من أعظم أساليب القرآن الترغيب والترهيب جاءت الفاتحة متضمنة له ، فهي متضمنة الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع الذين أنعم الله عليهم ، والتنفير من الأعمال الفاسدة حتى لا يكونوا مع المغضوب عليهم والضالين وهذا متضمن العلم بالحق والعمل به .

ز/ ذكر السبب والجزاء : ومن روائع أسلوب سورة الفاتحة ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره،فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح ، وهي الهدى ودين الحق ، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء فهذا تمام النعمة ، ولفظ أنعمت عليهم يتضمن الأمرين ، وذكر غضبه على المغضوب عليهم يتضمن أيضا أمرين: الجزاء بالغضب الذي موجبه غاية العذاب والهوان والسبب الذي استحقوا به غضبه سبحانه ، فإنه أرحم وأرأف من أن يغضب بلا جناية منهم ولا ضلال ، فكأن الغضب عليهم مستلزم لضلالهم ، وذكر الضالين مستلزم لغضبه عليهم وعقابه لهم فإن من ضل استحق العقوبة التي هي موجب ضلاله وغضب الله عليه، فاستلزم وصف كل واحد من الطوائف الثلاث للسبب والجزاء أبين استلزام ، واقتضاه أكمل اقتضاء في غاية الإيجاز والبيان والفصاحة مع ذكر الفاعل في أهل السعادة وحذفه في أهل الغضب وإسناد الفعل إلى السبب في أهل الضلال ، وتأمل المقابلة بين الهداية والنعمة ، والغضب والضلال ، فذكر المغضوب عليهم والضالين في مقابلة المهتدين المنعم عليهم وهذا كثير في القرآن يقرن بين الضلال والشقاء وبين الهدى والفلاح "[١٤٧] .

الوقفة الخامسة مع قسمة سورة الفاتحة: من روائع هذه السورة أنها قسمت بين العبد وربه ، فثلاث آيات لله ، وثلاثة للعبد ، وواحدة بينهما ، وكلماتها خمس وعشرون كلمة ، اثني عشر منها لله ومثلها للعبد وواحدة بينهما مكررة ، بل

جاءت حروف سورة الفاتحة نصفين (٦٨) حرفاً لله وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، و(٦٨) حرفاً للعبد ، وهذا إثبات للحديث القدسي الذي قال فيه النبي ﷺ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)(١٤٨) .

الوقفة السادسة: مع صفات الله ﷻ وصفات العبد التي ذكرت في سورة الفاتحة : فقد اشتملت هذه السورة على خمس صفات لله، وخمس صفات للعبد ، فالصفات التي لله هي من صفات الربوبية ، وهي : " الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والمالك" ؛ وخمسة من صفات العبد وهي : العبودية ، والاستعانة ، وطلب الهداية، وطلب الاستقامة، وطلب النعمة ، كما قال تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ فانطبقت تلك الأسماء الخمسة على هذه الأحوال الخمسة ، فكأنه قيل : إياك نعبد لأنك أنت الله ، وإياك نستعين لأنك أنت الرب ، اهدنا الصراط المستقيم لأنك أنت الرحمن ، وارزقنا الاستقامة لأنك أنت الرحيم ، وأفض علينا سجال نعمك وكرمك لأنك مالك يوم الدين "(١٤٩) .

الوقفة السابعة : مع الدعاء الذي ورد في سورة الفاتحة : من روائع سورة الفاتحة اشتمالها على أعظم دعاء في القرآن الكريم ، وهو سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهي أعظم نعمة يؤتيها الله العبد على الإطلاق ، ولذا شرعه الله بصورة مستمرة متكررة ، وأمر المصلين بالتأمين على ذلك ، و(مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)(١٥٠) دلالة على أهميته وفضله ، وهو

يعتبر من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد في الدين والآخرة ، فإن من هدي إلى الصراط المستقيم فقد هدي لخيري الدنيا والآخرة ، قال ابن القيم : " وهذا أجل مطلوب وأعظم مسؤول . ولو عرف الداعي قدر هذا السؤال لجعله هجيراه وقرنه بأنفاسه ، فإنه لم يدع شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلا تضمنه ، ولما كان بهذه المثابة فرضه الله على جميع عباده فرضا متكرراً في اليوم والليلة لا يقوم غيره مقامه ، ومن ثم يعلم تعين الفاتحة في الصلاة وإنها ليس منها عوض يقوم مقامها "(١٥١) ، والاستمرارية والتكرار لتجدد الحاجة إليه ؛ فإن الهداية إلى (الصراط المستقيم) أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهي عنه، وهذا يحتاج في كل وقت إلى أن يعلم ويعمل ما أمر به في ذلك الوقت وما نهي عنه، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة جازمة لترك المحظور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك للصراط المستقيم ... فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم ، وما لا نريد فعله تهاونا وكسلا مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه ، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر ، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام"(١٥٢) ، ولهذا أوجب الله على عباده أن يدعوا كل واحد بهذا الدعاء العظيم في كل ركعة من صلاته،لضرورته المستمرة إلى ذلك ، لأنه لا نجاة ولا سعادة إلا به وإلا كان إما من المغضوب عليهم أو الضالين .

النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج: من خلال الدراسة السابقة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١. دراسة الوحدة الموضوعية للسورة يوقف العبد على عظمة هذا الكتاب وسعة معانيه، وأبرز خصائص الإعجاز التي ارتبطت بنظمه وترتيبه ، وتجعل المتدبر لهذا الكتاب المجيد يستمع بصورة جمالية رائعة وفريدة للسورة القرآنية وهو يبحث عن عمودها ويكامل بين أجزائها ومعانيها، ويعانق بين كلماتها وآياتها وموضوعاتها في وحدة موضوعية واحدة تتجلى فيها الروعة والجمال، وينكشف من خلال الدقة والإحكام ، ويدرك من خلاله العبد عظمة القرآن الكريم ورونقه وجماله وروعته وتباينه عن كل كلام .

٢. لم يذكر العلماء من الأسماء والصفات بمثل ما ذكر للفاتحة مما يدل على فضلها وشرفها ، وهي أسماء وصفات هادية إلى معانيها وما تحتويه من علم وعمل ، ولكن الذي ثبت فيه الدليل من أسمائها سبعة وهي: "الفاتحة، أم القرآن، أم الكتاب، السبع المثاني، القرآن العظيم، سورة الحمد ، سورة الصلاة".

٣. سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن ، ولم ينزل الله مثلها في كتاب ، ولم يثبت في فضائل شيء من السور كما ثبت لها ، وهي مما خص الله به هذه الأمة ، وهي حاوية لجميع معاني القرآن وأسراره ، ومن فهمها فقد فهم مقاصد القرآن الكريم ، وسهل عليه معرفة باقي معانيه .

٤. من تأمل في ترتيب سورة الفاتحة ووضعها في بداية القرآن وهي متضمنة لمجمل ما جاء تفصيله في القرآن الكريم يتبين له أن ترتيب السور توقيفي؛ بل هذا الترتيب واحد من أوجه إعجازها .

٥. وفي جعل آيات سورة الفاتحة سبع آيات كما هو مجمع عليه ، وهو العدد المتميز في القرآن الكريم والمتناسق مع منظومة الكون والحياة ، لهو سر آخر من أسرار هذه السورة التي نحتاج إلى دراسات تكشف له عن بعض أسراره .

٦. من روائع سورة الفاتحة أنها قسمت بين العبد وربه ، فثلاث آيات لله ، وثلاثة للعبد ، وواحدة بينهما، كلماتها خمس وعشرون كلمة،اثني عشر منها لله ومثلها للعبد وواحدة بينهما مكررة،بل جاءت حروف سورة الفاتحة نصفين (٦٨) حرفاً لله،و(٦٨)حرفاً للعبد .

٧. هنالك تناسق وتناسب وتعانق عجيب بين كلمات وآيات سورة الفاتحة بصورة تعجز العبارات عن بيان حسنه ، بما يدل دلالة قاطعة على أنه من لدن حكيم خبير .

٨. موضوع سورة الفاتحة الرئيس هو: تحقيق العبودية الخالصة لله ﷻ .

٩. تضمنت سورة الفاتحة ثلاثة محاور أساسية وهي : المحور الأول : التعريف بالمعبود الحق ﷻ، المحور الثاني : التعريف بكيفية عبادة الله ، والمحور الثالث : بيان معرفة مآل من عبده ومن أعرض أو انحرف عن عبادته ، وهي تمثل محاور القرآن الأساسية التي جاء لعلاجها .

١٠. جاءت محاور سورة الفاتحة متعانقة مع محورها الرئيس في صورة تمثل وحدة متكاملة لا تقبل الانفصال ، بل متعانقة مع جميع سور القرآن الكريم.

١١. من روائع سورة الفاتحة أنها جمعت خمس صفات لله مرجع الأسماء الحسنى إليها ، وخمس صفات للعبد مرجع العبودية الحق إليها، وهي متطابقة مع تلك الصفات .

١٢. من روائع سورة الفاتحة اشتمالها على أعظم دعاء في القرآن الكريم، جامع لخيري الدنيا والآخرة ؛ ولذا شرعها الله بصورة مستمرة متكررة ، وأمر المصلين بالتأمين على ذلك.

١٣. تميزت سورة الفاتحة بجزالة أسلوبها ولطافته فجاء متنوعاً متفنناً ، بصورة تحتاج إلى دراسة مستقلة .

ثانياً : التوصيات : من خلال النتائج السابقة يوصي الباحث بما يلي :

١. أن تحظى سورة الفاتحة بمزيد عناية في التعلم والتعليم حتى ترسخ معانيها في قلوب الأمة وهم يسمعونها صباح مساء لعلها تزيدهم إيماناً وهدى ، كما عليهم أن يولوها مزيد عناية في البحث والدراسة بهدف الكشف عن معانيها العظيمة .

٢. التذكير الدائم بفضل سورة الفاتحة ، وفضل تعلمها وتعليمها من خلال وسائل متعددة ، حتى يدرك العباد فضلها ويقبلوا على تعلمها وحسن التدبر لكلماتها.

٣. إفراد أسماء سورة الفاتحة وصفاتها التي ذكرها العلماء بدراسة مستقلة من حيث التحقق في كل اسم ووصف ذكر ، ومَنْ قال به ، وعلاقته بمعاني الفاتحة ومضامينها .

٤. دراسة جميع سور القرآن من خلال الوحدة الموضوعية وفق ضوابط محكمة ، وإخراج ذلك في مشروع متكامل للأمة ، يستفاد فيه من كل ما كتبه الأوائل في هذا الباب .

٥. عقد ندوة عالمية للتأصيل في موضوع الوحدة الموضوعية بصورة خاصة بما يضبط مسارات البحث في هذا العلم ، لأن الباحث عانى من ضعف المعالم التي تقوم عليها الدراسة ، فما جاء متفرقاً في موضوع الوحدة الموضوعية يحتاج إلى جمع وتأصيل .

الهـــوامش

(١) البرهان في نظام القرآن للشيخ محمد عناية الله أسد سبحاني ص٢٢.

(٢) انظر:التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للأستاذ زياد خليل الدغامين ص٢٢.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤ / ٦٧) .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١ / ٢١) .

(٥) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٢٠٩.

(٦) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٢/٧) .

(٧) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني (١/٨) .

(٨) انظر: البرهان في نظام القرآن ص٦٩ .

(٩) الموافقات للشاطبي (٣/٤١٥) .

(١٠) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص١٩٩.

(١١) مصاعد النظر للبقاعي (١/١٤٢) .

(١٢) المصدر السابق (١/١٤٩ ، ١٥٠) .

(١٣) للوقوف على هذه الأسماء الاجتهادية ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها للدكتورة منيرة محمد ناصر الدوسري ص١٣٢، فقد جمعت ما ذكره السيوطي في الإتقان والفيروز أبادي في بصائر ذوي التميز والقرطبي ودرستها.

(١٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : الأذان، باب : وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ، ح رقم ٧٥٦ ، مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٠ .

(١٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ح رقم ٨٠٦ .

(١٦) انظر: جامع البيان للطبري (١/٧٤) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١/ ١١١) .

(١٧) انظر: روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (١ /٤).

(١٨) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠١ .

(١٩) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤ .

(٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب : الرقى بفاتحة الكتاب ح رقم ٥٧٣٦، ومسلم في كتاب السلام ، باب : جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ح رقم ٦٥.

(٢١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ٩٧٨٩ ، والترمذي في سننه ح رقم ٣١٢٤، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ح رقم ١٤٥٧.

(٢٢) انظر:معالم التنزيل للبغوي (١/ ٤٩) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور(١ / ١٣٣) .

(٢٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١ / ١٠٧).

(٢٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي (١ / ٢) .

(٢٥) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٥ / ٣٦٥) ، ومفاتيح الغيب للرازي (١٩ / ١٦٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٥٤) ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢٢ / ٨٣٦) ، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٠٢) .

(٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ، باب: فاتحة الكتاب ح رقم ٤٤٧٤.

(٢٧) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١/ ١٠٧ـ ١٠٩) .

(٢٨) زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن الجوزي (٤ / ٤١٣) .

(٢٩) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (١/١٨) ، تفسير البغوي (١/١) ، ومفاتح الغيب للرازي (١ / ١٥٩) .

(٣٠) أخرجه أحمد في مسنده ح رقم ٨٦٦٧ ، والنسائي في السنن الكبرى ح رقم ٤٣١٦ ، والترمذي ح رقم ٢٨٧٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم ٤١٢٤ ، والحاكم في المستدرك ح رقم ٢٥٨ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣١) بصائر ذو التميز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي(١/ ١٢٨) .

(٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ، باب : فاتحة الكتاب ح رقم ٤٤٧٤.

(٣٣) زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن الجوزي (٤ / ٤١٣) .

(٣٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ح رقم ٢٤٨٦، والدار قطني في سننه ح رقم ١٢٠٢ ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم ٧٢٩ .

(٣٥) مفاتح الغيب للرازي (١/١٥٦) ، وتحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١/ ٦) .

(٣٦) تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١ / ١٣) .

(٣٧) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤ .

(٣٨) الإتقان في علوم القرآن (١/١٣٥) .

(٣٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٤ / ٤٤) .

(٤٠) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١/٢٤٧) ، وتفسير أبي السعود (١/ ٨).

(٤١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١١٠).

(٤٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٦ /١٢٤).

(٤٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ح رقم ٨٠٦ .

(٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ، باب : فاتحة الكتاب ح رقم ٤٤٧٤.

(٤٥) فتح الباري (٩ / ٥٤).

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١١٠) .

(٤٧) أخرجه أحمد في مسنده ح رقم ٨٦٦٧ ، والنسائي في السنن الكبرى ح رقم ٤٣١٦ ، والترمذي ح رقم ٢٨٧٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم ٤١٢٤ ، والحاكم في المستدرك ح رقم ٢٥٨، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ١١٠) .

(٤٩) تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١/ ١٨)،اللباب في علوم الكتاب(١/١٦٤).

(٥٠) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤ .

(٥١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠١ .

(٥٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤ .

(٥٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (١ / ١).

(٥٤) تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١ / ١٩).

(٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب: الرقى بفاتحة الكتاب ح رقم ٥٧٣٦ ، ومسلم في كتاب السلام ، باب : جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ح رقم ٦٥.

(٥٦) تفسير البغوي (١/١) .

(٥٧) انظر:الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١١٥) ، ونقل الإجماع غير واحد منهم الفيروز آبادي في كتابه بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز(١/ ١٢٨) .

(٥٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ١١٤) .

(٥٩) جامع البيان في تأويل القرآن (١/ ١٠٩) .

(٦٠) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٨) .

(٦١) وقد بدأت (بالحمد لله) ؛ لأن الباحث يرجح أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، وإنَّما هي آية للفصل بين السور، ولو كانت آية منها ما اختلف فيها فإن القرآن لا يختلف فيه ، ولما ترك السلف قراءتها ، وغير ذلك من أدلة أفردنا لها بحثاً خاصاً ، انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٦/١) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٧/١) .

(٦٢) انظر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٩/١) ، والتحرير والتنوير ١/ ١٥٤.

(٦٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٩/١)،وزاد المسير(١١/١) ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (١ / ٣٩) .

(٦٤) انظر: جامع البيان (١٤٣/١) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٤١).

(٦٥) انظر: تفسير الطبري (١ /١٣٧ ـ ١٤٤) ، وتفسير البغوي (١ / ٥٢) ، وتفسير القرطبي (١٣٨/١) ، وتفسير ابن كثير (١ / ٤٣) ، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٨٦).

(٦٦) انظر: الدار المنثور للسيوطي (١ / ٢٦) وفتح القدير(٨٧/١) .

(٦٧) انظر: تفسير الرازي (١/ ١٦٦) ، وتفسير ابن كثير(١/ ١٣١)، وتفسير السعدي ص٣٩.

(٦٨) أخرجه ابن ماجة في سننه ح رقم ٣٨٠٣، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم ٣٤٧٥، والحاكم في المستدرك ح رقم ١٨٤٠، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ٢٦٥.

(٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب :الطهارة ، باب : فضل الوضوء ح رقم ٥٥٦.

(٧٠) تفسير ابن كثير (١ / ١٠٧) ، وزاد المسير (١/٩) .

(٧١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ١٠٥).

(٧٢) التحرير والتنوير (١ / ١٧٢).

(٧٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ /١٠٥)، وتفسير المنار ١/ ٤٣ .

(٧٤) أخرجه أبو داود في سننه ح رقم١ ٤٩٤ ، والبيهقي في السنن ح رقم ١٧٦٨٣والترمذي في سننه ح رقم ١٩٢٤، وقال:هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .

(٧٥) انظر: تفسير الطبري (ج١/ ١٢٧) ، تفسير ابن كثير (ج١/١٢٤) ، تفسير القرطبي (ج١/ ١٠٥) ، تفسير البيضاوي (١/ ٣) ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير الأحكام (١ /١١) .

(٧٦) تفسير السمر قندي المسمى"بحر العلوم" لأبي الليث السمر قندي (١/٣٨) .

(٧٧) تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص٣٧ .

(٧٨) انظر: فتح القدير (١/٩) .

(٧٩) انظر: تفسير المنار (١/٤٩) .

(٨٠) انظر: فتح الرحيم الملك العلّام في علوم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للسعدي ص٢٦ ، ٢٧ .

(٨١) تفسير القرآن الكريم لمحمد بن صالح العثيمين " الفاتحة ـ البقرة " (١ /١٢) .

(٨٢) تفسير ابن كثير (١ / ١٢٠) .

(٨٣) تفسير المنار ١/٥٤.

(٨٤) التحرير والتنوير (١ / ١٨٤) .

(٨٥) اللباب في علوم الكتاب (١٢ / ٣٣٤).

(٨٦) انظر: نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للإمام الحافظ محمد ابن علي الكرجي القصّاب،تحقيق الدكتور على بن غازي التويجري(١ / ٨٨).

(٨٧) تفسير البغوي (١ / ٥٤) .

(٨٨) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (٣ / ٥٩) .

(٨٩) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (٣ / ٤٧).

(٩٠) جامع البيان في تأويل القرآن (١ / ١١٨) .
(٩١) تفسير الرازي (١/ ٢٥٩).
(٩٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين: باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ح رقم ١٠٩٩.
(٩٣) انظر:طبقات فحول الشعراء للجمحي (١/ ٣٦) والتحرير والتنوير (١/ ١٥٤).
(٩٤) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (١/ ٤) .
(٩٥) انظر: التحرير والتنوير (١/ ١٧٣).
(٩٦) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/ ٥) .
(٩٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ١٣٩).
(٩٨) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : التوبة ، باب : سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ح رقم ٧١٥٥.
(٩٩) تفسير المنار (١/٤٦).
(١٠٠) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١ / ٨٨).
(١٠١) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن (١ / ١٣٢ ، ١٣٣) .
(١٠٢) التحرير والتنوير (١ / ١٧٤) .
(١٠٣) التحرير والتنوير (١ / ١٧٤).
(١٠٤) التحرير والتنوير (ج ١ / ١٧٣ ، ١٧٤) ، انظر : تفسير المنار(١/٥١) .
(١٠٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١ / ٩).
(١٠٦) انظر: التحرير والتنوير (١ / ١٨٣).
(١٠٧) التحرير والتنوير (١ / ١٨٢).
(١٠٨) أحكام القرآن لابن العربي (١ / ٥).
(١٠٩) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٩).
(١١٠) انظر : فتح القدير للشوكاني (١ / ٤٠) ، وتفسير المنار ١/ ٥٥ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٩) ، والتحرير والتنوير (١ / ١٨٦) ، الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٦) .

(١١١) التحرير والتنوير (١ / ١٨٦) .

(١١٢) تفسير القرآن الكريم محمد بن صالح العثيمين (١ / ١٦) .

(١١٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١ / ١٦٨) .

(١١٤) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (٣ /٤٩).

(١١٥) فتح القدير للشوكاني (٤٣/١) .

(١١٦) تحقيق تفسير الفاتحة (١ / ١٩) .

(١١٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٣٦٢).

(١١٨) المصدر السابق (١٤ / ٧) .

(١١٩) مدارج السالكين (٩٥/١) .

(١٢٠) المصدر السابق (١٣/١ – ١٤) .

(١٢١) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١ / ٩٠) .

(١٢٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٣٦١).

(١٢٣) التحرير والتنوير (١ / ١٣٥).

(١٢٤) تفسير الرازي (١ / ١٦٣).

(١٢٥) انظر : مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٣ / ١٢).

(١٢٦) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٣ / ٢).

(١٢٧) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٢ / ٧).

(١٢٨) انظر: تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١٩/١) .

(١٢٩) انظر : تفسير البحر المحيط أبو حيان الأندلسي (١ / ١٤) ، ومدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٢/ ١٤).

(١٣٠) انظر: تفسير الرازي (١/ ١٦٦) ، وتفسير السعدي (١/ ٣٩) ، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (١٧٠/١)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١ /٣٩) ، والتحرير والتنوير (١٣٣/١) ، وتفسير المنار(١/ ٣٧)، وإيضاح البيان عن معنى أم القرآن (١/ ١٢ـ ١٤) .

(١٣١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٦).

(١٣٢) انظر : مدارج السالكين (١/ ٥٨) ، إيضاح البيان عن معنى أم القرآن (١/ ١٨).

(١٣٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١/ ١٧).
(١٣٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٣٥).
(١٣٥) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٢ / ٨).
(١٣٦) التحرير والتنوير (١ / ١٧٦ ، ١٧٧) .
(١٣٧) انظر : تفسير الرازي (١ / ١٥٧ ، ١٥٨).
(١٣٨) تفسير الرازي (١ / ١٥٧).
(١٣٩) إيضاح البيان عن معنى أم القرآن (١/٢٠).
(١٤٠) تفسير الرازي (١ / ١٥٩).
(١٤١) نظم الدرر (١ / ١٢) .
(١٤٢) تيسير المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي ص١٢ .
(١٤٣) البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي ص٨٤ .
(١٤٤) الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٣).
(١٤٥) انظر : بدائع الفوائد (١/١٣٠) ، والتحرير والتنوير (١ /١٦٩).
(١٤٦) التحرير والتنوير (١ / ١٩٢).
(١٤٧) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٢ / ١٢).
(١٤٨) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤ .
(١٤٩) تفسير الرازي (١/٢٦١) .
(١٥٠) رواه البخاري في صحيحه كتاب:الأذان ، باب : جهر المأموم بالتأمين ح رقم ٧٨٢ ، ومسلم في كتاب الصلاة ، باب : التسميع والتحميد والتأمين ح رقم ٩١٥.
(١٥١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (٣ / ٣٠٥).
(١٥٢) انظر:مدارج السالكين لابن قيم الجوزي(٢/ ١)، وتفسير السعدي ص٣٩.

فهرس المراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز ، ط : مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

٢. أحكام القرآن ، لابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط: دار الفكر للطباعة ، بيروت ، بدون .

٣. أسماء سور القرآن وفضائلها، للدكتورة منيرة محمد ناصر الدوسري ، ط: دار ابن الجوزي ، الدمام ط١ ١٤٢٦هـ .

٤. أضواء البيان ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ،ط:دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

٥. إمعان النظر في نظام الآي والسور ، محمد عناية الله سبحاني، ط : دار عمار ، عمان ط ١ ١٤٢٤هـ .

٦. إيضاح البيان عن معنى أم القرآن ، سليمان بن عبد القوي الطوفي ، المصدر: موقع مكتبة صيد الفوائد http://www.saaid.net/book/index.php .

٧. بحر العلوم،نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي،تحقيق د. محمود مطرجي، ط: دار الفكر، بيروت ، بدون .

٨. البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي ، طبعة جديدة بعناية زهير جعيد ، ط: دار الفكر ، بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٩. بدائع الفوائد ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق علي بن محمد العمران ، ط : دار عالم الفوائد ، مكة ، ط١/ ١٤٢٥هـ .

١٠.البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، تحقيق د/ سعيد بن جمعة الفلاح ، طبعة :دار ابن الجوزي،الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ .

١١.البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران ، للدكتور محمد عناية الله أسد سحاني ، ط : دار عمار ، عمان ، ط١ /١٤٢٦ه ـ ٢٠٠٥م .

١٢.بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى، تحقيق الأستاذ محمد على النجار، ط:المكتبة العلمية ، بيروت، الطبعة بدون تاريخ .

١٣.تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب ، سامي بن محمد جاد الله ، المصدر : موقع مكتبة صيد الفوائد http://www.saaid.net/book/index.php.

١٤.التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت / الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٥.تفسير أبي السعود لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ط:دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون .

١٦.تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه : محمد عبد الله نمر ، ود . عثمان جمعة ، وسليمان مسلم ، ط : دار طيبة ، الرياض ، ط١/ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

١٧.تفسير التحرير والتنوير للإمام محمد بن الطاهر عاشور ، ط : دار سحنون ، تونس ، بدون .

١٨.تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط١/ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ .

١٩.تفسير القرآن الكريم"سورة الفاتحة. البقرة" الشيخ محمد بن صالح العثيمين،ط:دار ابن الجوزي،الدمام،ط١ / ١٤٢٣هـ.

٢٠.تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي ، ط: دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ .

٢١.تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط١/ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

٢٢.التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للأستاذ زياد خليل الدغامين ، ط : دار عمان ، عمان ط ١١٤٢٨هـ .

٢٣.تقريب النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد بن علي ابن الجزري ، ط:[152]دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٢٤.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر ابن السعدي، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠ م.

٢٥.تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر ابن السعدي، ط : إدارة المطبوعات القصيم ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .

٢٦.جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، ط : دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ .

٢٧.الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق محمد إبراهيم الخناويّ ومحمود وحامد عثمان ، ط: دار الحديث ، القاهرة ، طبعة : ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٨.الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط : دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م .

٢٩.روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، دار النشر / دار إحياء التراث العربى، بدون .

٣٠.زاد المسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ / ١٤٠٤هـ .

٣١.سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها لمحمد ناصر الدين الألباني، ط:المكتب الإسلامي، دمشق ، ١٤٠٥هـ.

٣٢.سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي،ط: المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون .

٣٣.سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ط: إحياء التراث العربي،بيروت ، بدون.

٣٤.سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .

٣٥.سنن الدارقطني، على بن عمر الدار قطني ،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، بدون .

٣٦.السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي ، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ، الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة : الأولى ـ ١٣٤٤ هـ .

٣٧.سنن النسائي لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، ط : دار البشائر الإسلامية ، ط/ ١٩٨٦م .

٣٨.صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٠هـ .

٣٩.صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط:رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٠هـ .

٤٠.صحيح مسلم بشرح النووي ليحيى بن شرف بن مري الحواربي النووي ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ م .

٤١.صحيح وضعيف الجامع وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ /١٣٩٩هـ.

٤٢.صحيح وضعيف سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، بدون .

٤٣.صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ، ط : عالم الكتب ، بيروت ، بدون .

٤٤.طبقات فحول الشعراء ، المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.net.

٤٥.فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي بن عبد العزيز الشبل، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

٤٦.فتح الرحيم الملك العلَّام في علوم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي،ط : دار ابن الجوزي، الدمام ، السعودية ، ط١، ١٤٢١هـ .

٤٧.فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ، ط : دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

٤٨.في ظلال القرآن لسيد قطب ، ط : دار الشروق ، القاهرة ، ط٨ / ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٤٩.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ط : دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٥٠.اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ / ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م .

٥١.مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، طبعة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٥٢.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٣ ه– ١٩٧٣م .

٥٣.المستدرك على الصحيحين للحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري،ط:دار المعرفة، بيروت،بدون تاريخ .

٥٤.مسندالإمام أحمد للإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط: المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط/١٩٨٥م.

٥٥.مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي تحقيق : عبد السميع محمد حسنين ، ط" مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٨ه .

٥٦.معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ، تحقيق: د/ يحيى مراد ، ط: دار الحديث ، القاهرة ، سنة ط/ ١٤٢٥هـ .

٥٧.مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .

٥٨.المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي،ط:دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١/ ١٤٢١هـ .

٥٩.الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ط : دار ابن عفان ، ط١ / ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٦٠.النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز، اعتنى به وخرج أحاديث عبد الحميد الدخاخني ، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ. ١٩٩٧م .

٦١.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي وخرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب ط: دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م .

٦٢.نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للإمام الحافظ محمد بن علي الكرجي القصّاب ، تحقيق الدكتور علي بن غازي التويجري ، ط : دار ابن القيم ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ .

٦٣.التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ، مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com.